الجُمهوريّة الجزائريّة الديموقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر - الوادي
كلّيّة الآداب واللغات قسم اللغة العربية

التشكيل الحجاجي للغة في خطابات أولي العزم من الرّسل في القرآن الكريم

مذكّرة تخرّج مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربيّة

تخصُّص: لسانيّات عامّة

إعداد الطالبتين: إشراف الدكتور:
ازدهار غانم لزهر كرشو
نورة توارس

لجنة المناقشة

د.البشير عبابة	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	رئيسا
د.لزهر كرشو	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	مشرفا(مقررا)
د.زغدي محمد الصالح	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	مناقشا

السنة الجامعيّة: 1440هـ -1441هـ/2019م -2020م

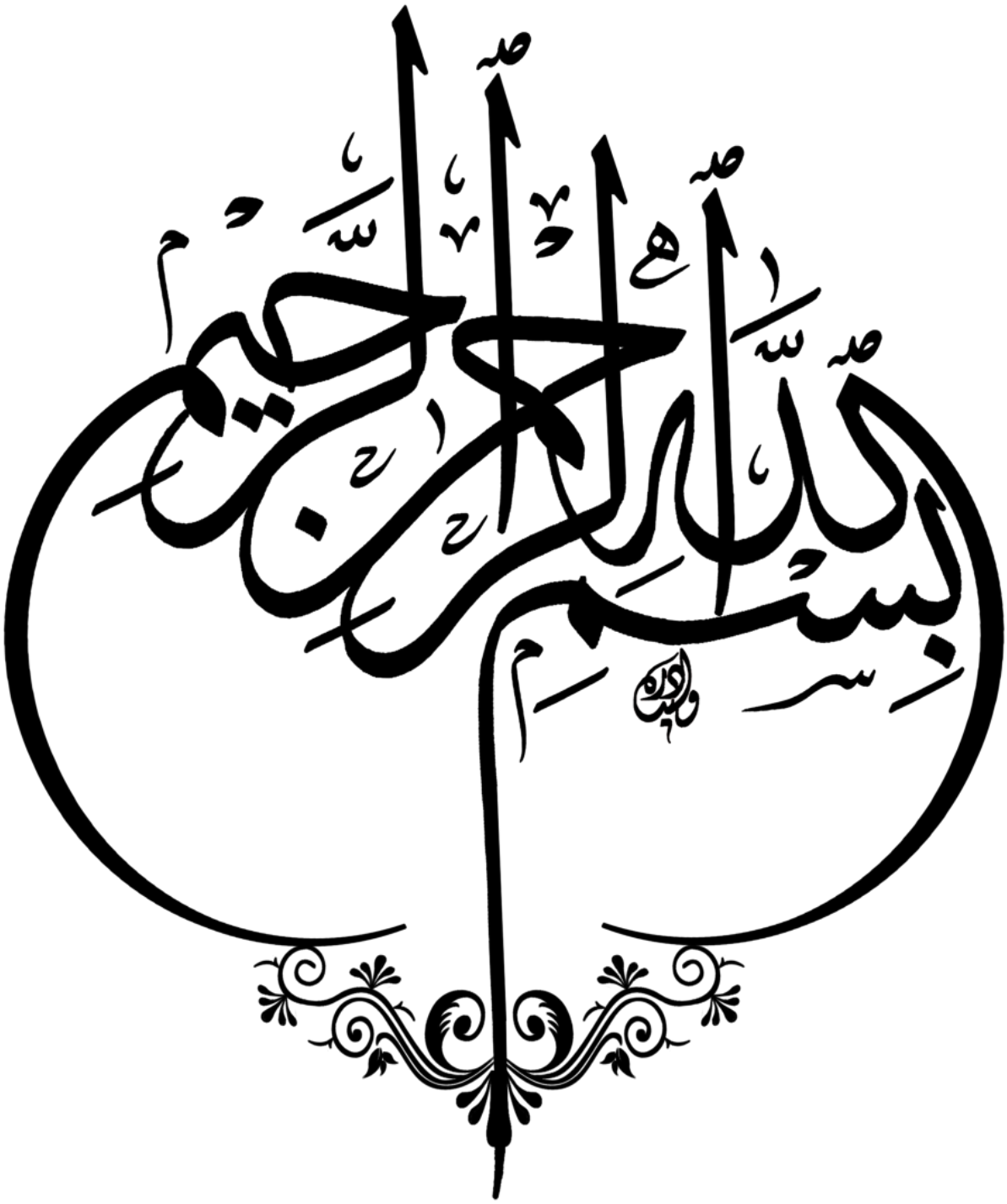
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى معلّمنا وقدوتنا الحبيب المصطفى وسيد المرسلين محمّد صلّى الله عليه وسلم.

إلى كل من وجّهنا إلى نور العلم.

إلى رمز العطاء الوالدين الكريمين.

إلى كل الأهل والأصدقاء.

إلى كل الزملاء بقسم اللغة العربية .

نهدي هذا العمل المتواضع.

مقدمة

تُعدّ اللّغة أهم وسيلة في هذا الكون لأنّها تُحقّق التواصل للإنسان مع غيره سواء أكان هذا التّواصل بخطابٍ منطوق أم مكتوب ، إذ نجده يستعملها في مُختلف مناحي الحياة من محاورات ونقاشات ،ونظرًا لقيمتها المفصلية حظيت بالدّراسة والاهتمام من قبل الدارسين والباحثين ، فاهتُمّ بها بنيويًّا في إطار النّسيج الدّاخلي للنّص ، ثمّ برزت القيمة الدراسية للغة مقاميًّا و سياقيًّا مع ظهور التداولية ، هذا العلم الذي يعنى باللغة في جانبها الاستعمالي التواصلي وبما أنّ التّداولية تعنى بالعمليّة التواصليّة بين المتكلم والمستمع وكل ما يحيط بها، فهي إذن تشتمل على روافد تواصليّة أهمُّها الحجاج الذي نبع من مركز البحث التداولي ليوسّع من مجال التداولية، من جهة أنّ الحجاج يعدّ طريقة تّواصلية غايتها الاستمالة والتأثير والإقناع، يقوم على الحجة المنتجة من الذات المرسلة والموجهة نحو النّتيجة التي يروم تحقيقها من أجل تسليم المتلقي بها ، ومنه فقد كان الحجاج اللغوي من بين أنواع الحجاج التي تكشفُ عن الجانب التّداولي التأثيري لأي خطاب انطلاقا من مؤشرات لغوية موجودة داخل أبنية اللغة نفسها ، وهو ما يشير إلى أنّ هذا النوع من الحجاج يجعل اللغة وسيلة باعثة على التّأثير والإقناع إذا تمّ تفعيل تلك المؤشرات في الخطاب ، وهذا طبعا يجعل اللغة تؤدي وظيفة حجاجية إلى جانب الوظيفة التواصلية.

وبما أنّ الخطاب الحجاجي يمتاز بالقوّة الباعثة على التسليم والتأثير من خلال توفّره على مجموعة من الآليات، في المقابل هناك الكثير من الخطابات التي يصح بأن يقال عنها خطاب حجاجي مثل الخطاب القرآني الذي يعدّ خطابا حجاجيًّا بامتياز، وفضلاً عن كون القرآن الكريم آية من آيات الله التي خصّ بها نبيّه الكريم محمّد ﷺ فهو رسالة جاءت لتخاطب العقل البشري ، إذ من خصائصه أنّه منسجم ومتوافق مع طبيعة الإنسان تفكيرًا وسلوكًا ووجدانًا، لهذا جاء القرآن مخاطبًا بني البشر أين ما كانوا وكيف ما كانوا في جميع أحوالهم متضمّنًا مجموعة من خطابات أولي العزم من الرُّسل الذين تشكِّل خطاباتهم محور دراسة في هذا البحث.

وبطبيعة الحال إنّ المحاجج في العمليّة الحجاجيّة هو الوحيد المشكّل للخطاب الحجاجي في صورة تأثيريّة فاعلة انطلاقًا من مرجعيّات خاصّة به ،نفسيّة

واجتماعيّة وغيرها.

وبناءً على ما تقدّم تشكّلت الرّغبة في أن يكون هذا البحث في مجال الحجاج، وأن تكون خطابات أولي العزم من الرّسل في القرآن الكريم مدونة تطبيق ، فجاء موضوع المذكّرة موسومًا بعنوان : التشكيل الحجاجي للغة في خطابات أولي العزم من الرُّسل في القرآن الكريم وكانت هناك مجموعة من الدّوافع الذاتية والموضوعيّة التي أدّت إلى اختيار هذا الموضوع ولعلّ أهمُّها:

اختيار الحجاج موضوعًا للدّراسة هو الشغف بحقل اشتغاله في الإقناع والتأثير، أمّا عن اختيار بعض الخطابات من القرآن الكريم - خطابات أولي العزم من الرّسل – موضوعًا في التّحليل هو توفُّر الخطاب القرآني على أهم السّمات التي تجعل منه خطابًا حجاجيًا بالدّرجة الأولى وهي الإقناع والتأثير .

وقد كان هذا البحث من أجل الإجابة عن الإشكالية التالية:

ماهي أهم الآليات الحجاجية اللغوية المشكلة لحجاجيّة خطابات أولي العزم من الرّسل والتي جعلت من خطاباتهم ذات أثر حجاجي مؤثر؟ وهذه الإشكالية تفرّعت

إلى أسئلة أهمُّها:

- ❖ كيف تشكل الخطاب الحجاجي لأولي العزم من الرّسل في لغته من حيث

التّعليل والشرط والوصف والانجازية والتبادل؟

- ❖ وكيف تشكل الخطاب الحجاجي لأولي العزم من الرّسل في لغته من حيث

العوامل والرّوابط الحجاجية؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات تمّ وضع خطّة تبدأ بمقدمة ، يليها مدخل بعده فصلان ، ثمّ خاتمة.

أمّا المدخل فقد تضمّن تعريف الحجاج لغة واصطلاحا ، بالإضافة إلى حجاجية الخطاب القرآني ، وكذا التّطرق إلى أنواع الخطاب الحجاجي وسماته وبعض الجوانب الخاصة بنظرية الحجاج اللّغوي.

أمّا الفصل الأوّل ففيه بعض الآليات اللغوية التي تثبت حجاجية أيّ خطاب يشتمل عليها وهي : التعليل والشرط والوصف والانجازية والتبادل مع نماذج تطبيقية لكل

آلية .

أمّا الفصل الثاني فقد اشتمل على عرض لأهم العوامل والرّوابط الحجاجيّة الواردة

في الخطابات محل الدراسة .

أما عن المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي القائم على التحليل الحجاجي للغة الخطاب، ذلك لأنّ البحث بصدد عرض لأهم الآليات اللغوية الحجاجية مع التفصيل في شرحها، ومن ثمّ القيام بتطبيق هذه الآليات على خطابات مستنبطة من القرآن الكريم وتحليلها حجاجيًّا.

وقد أعانت مجموعة من المصادر والمراجع هذا البحث ومن أهمّها : اللغة والحجاج لأبو بكر العزّاوي ، بلاغة الإقناع في المناظرة لعبد اللطيف عادل، استراتيجيّات الخطاب- مقاربة لغويّة تداولية - لعبد الهادي بن ظافر الشهري وغيرها وخلال هذه الرّحلة العلمية مع الحجاج اللغوي وُجدت مجموعة من الصعوبات لعلّ أهمُّها: صعوبة التعامل مع الخطاب القرآني باعتباره نصًّا مقدّسًا ، الشيء الذي يفرض على الباحث توخي الحيطة والحذر مع معانيه وتراكيبه.

ويعود الفضل في إنجاز هذا البحث إلى الأستاذ المشرف الذي يسّر كلّ ما تعسّر بتوجيهاته وملاحظاته فله جزيل الشكر كما يتم توجيه الشكر إلى لجنة المناقشة التي قامت بمراجعة هذا البحث وفي الأخير نرجو أن يكون هذا البحث قد حقق ولو قليلا مما كان يصبو إليه فما كان صواب فيه هو من الله وما كان من خطأ فمن الشيطان.

المدخـــل

مدخل (الجهاز المفاهيمي):

مع انتشار وسائل الإعلام كثُرت الحوارات والنّقاشات حول العديد من القضايا السياسية والدينية والإجتماعية ...إلخ، والهدف منها ليس فقط التّأثير العاطفي وإنّما الإقناع العقلي أيضًا، وهذا الأخير لا يكون إلاّ إذا عزّز كلُّ طرف رأيه بالأدلّة والبراهين المناسبة، وعليه إذًا نقول إنّ عصرنا الحالي هو عصر الحجاج بامتياز، فكلّما استقرَّ الحجاج في مجتمع ساد بين أفراده السلوك الحضاري والديموقراطي ، فالحجاج هو لغة البرهان والدليل والحوار الجاد.

أولا: تعريف الحجاج:

أ- لغة: تدور معاني الحجاج في المعاجم العربية حول مادّة (ح ج ج) المشتملة على معاني (المغالبة والجدال والخصومة واستعمال البرهان) ، إذ يقول ابن منظور(630هـ/711هـ):«... قال العرب : لجَّ فحجَّ، معناه لجَّ فغلب من لاجّه بحججه ، يقال: حاجَجْته أُحاجُّه حجاجًا ومحاجّة حتّى حجَجْته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ...والحجّة : البرهان ، وقيل الحجّة ما دُوفِع به الخصم ، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظَّفر عند الخُصومة . وهو رجلٌ محجاجٌ أي جدِلٌ»[1].

وقال أيضًا:«... والتحاجُّ التخاصم ، وجمع الحجّة : حججٌ وحجاجٌ وحاجّهُ محاجّة وحجاجًا : نازعه الحجّة. وحجّهُ يحجُّه حجًّا : غلبه على حجّته : وفي الحديث فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجّة واحتجَّ بالشيء اتّخذه حجّة»[2] ، والمعنى من هذا أنّ الحجاج قائم على التّخاصُم والنّزاع.

ويقول أيضًا موضحًا سبب تسمية الحجّة بالحجّة من جهة دلالتها على القصد:

«...قال الأزهري: إنّما سُمِّيت حجّة لأنّها تحجُّ أي تقصد لأنّ القصد لها وإليها،

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دط ، دت ، دار صادر بيروت، م2،ص228، مادة (ح ج ج).
[2] نفسه، ص228.

وكذلك محجّة الطّريق هي المقصدُ والمسلك» [3].

وقد ذهب ابن فارس (329هـ/ 395هـ) في معجم مقاييس اللغة أيضًا إلى أنّ الحجّة تعني القصد بالإضافة إلى المغالبة والمخاصمة حيث يقول في مادّة (حجَّ):«الحاء والجيم أصولٌ أربعة فالأوّل القصدُ، وكلُّ قصدٍ حجٌّ ... يقال حاجَجْت فلانًا فحجَجْته أي غلبته بالحجَّة ، وذلك الظفر يكون عند الخصومة ، والجمع حجج والمصدر الحجاج» [4].

وقد دعّم ابن سيّده (458هـ) فكرة أنّ معاني الحجاج لا تخرج عن دائرة المخاصمة واستعمال الدليل في قوله: «...والمحجّة : الطريق وقيل محجّة الطّريق سننه، والحجّةُ: ما دُوفع به الخصم ، والجمع حُججٌ وحجاجٌ، وحاجّه محاجّة وحجاجًا: نازعه الحجّة. وحجّه يحجُّه حجًّا : غلبه على حجّته وفي الحديث (فحجّ آدم موسى) واحتجّ بالشيء اتّخذه حجّة ، وحجّه يحجُّه حجًّا فهو محجوج وحجيج» [5].

ومن التعريفات السابقة يتبيّن أنّ الحجاج هو مصدر للحجّة وجمعها حججٌ ، والحجّة هي الدليل والبرهان والقصد، أمّا الحجاج فتدور معانيه حول المخاصمة والنّزاع والجدال والمجادلة.

ب- اصطلاحا:

مصطلح الحجاج هو مصطلح عائم تتجاذبه الكثير من الاتجاهات نظرًا لاختلاف استعماله باختلاف المرجعيات من فلسفة ومنطق وخطابة وقضاء... إلخ، كما أنّ الحجاج يظلّ رهين مرجعيّته أو سياقه الذي ينزل فيه، ومع تعدّد المرجعيات فالأكيد سنجد تعريفات عديدة لهذا المصطلح فهناك مثلاً: حجاج بلاغي ، وحجاج خطابي ، وحجاج لغوي...الخ [6]، ويؤكّد عبد الله صوله تشعُّب مجالات استعمال

---

[3] ابن منظور ، لسان العرب، م2، ص228.

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر (1399هـ/1979م)، ج2،ص30، مادّة (حجّ).

[5] ابن سيده ، المحكم والحيط الأعظم ، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1،(1421هـ/2000م)، ج2، ص482، مادة (ح ج ج).

الحجاج في قوله: «يرى بعضهم أنّ الحجاج في الدراسات الحجاجيّة على ضربين : ضربٌ أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيّق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال إذ هو يعنى بتتبّع الجانب الاستدلالي في المحاجّة، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السّامع أو القارئ »[7].

وقبل التطرّق إلى تعريف الحجاج في حدّ ذاته يجب الإشارة إلى أنّ كل حجاج يفرض وجود التواصل حيث إنّه «لا تواصل باللسان من غير حجاج ، ولا حجاج بغير تواصل باللسان»[8]، وعليه إذن يكون كل خطاب حجاجي هو خطاب تواصلي بالدّرجة الأولى.

وفيما يلي هناك سرد لبعض التعاريف المتعلّقة بمفهوم الحجاج اصطلاحًا:

عُرّف الحجاج على أنّه: « فاعلية حوارية تتأسّس على الاختلاف، انطلاقًا من نسبية الحقيقية، وهذه النّسبية هي المناخ الأمثل الذي ينمو فيه الحجاج حيث تتعدّد وجهات النظر وتتنوع الرؤى وتكثر الاحتمالات، ولا سبيل إلى إظهار موقف على آخر عبر البرهان الشكلي بصرامته التي تميز على سبيل القطع بين الحق والباطل»[9]، وما يفهم من هذا التعريف أنّ الحجاج قائمٌ على الخلاف من خلال اختلاف وجهات النظر وتعدد الآراء.

وحدُّ الحجاج أيضًا من منظور طه عبد الرحمان : «أنّه كلُّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها»[10]، فكلُّ منطوق على اعتبار أنّه خطاب يستدعي وجود مدعي ومعترض إذ الثاني يحقُّ له

---

[6] ينظر : محمّد عبد الباسط عيد، في حجاج النّص الشعري، إفريقيا الشرق، المغرب ، دط،2013م، ص11.

[7] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت، ط2، 2007م، ص08.

[8] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط1، 1998م، ص254.

[9] محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النّص الشعري، ص13.

[10] طه عبد الرحمان ،اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، ص226.

الاعتراض على الأوّل.

ومن بين التّعريفات الأخرى للحجاج أيضًا تعريف كل من بيرلمان وتيتيكاه اللذان يذهبان إلى أنّه : «دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم»[11]، ومن هذا المنطلق تكون الاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز مثلاً من التقنيات الخطابية التي تؤدي إلى التأثير في المتلقي أو الزيادة في درجة ذلك التأثير .

ويرى أبو بكر العزاوي في كتابه (اللغة والحجاج) أنّ «الحجاج هو تقديم الحجج والأدلّة المؤدية إلى نتيجة معيّنة وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى ، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغويّة وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها»[12]، والمعنى من هذا أنّ الحجاج هو متوالية من الأقوال الإنجازية تشمل حجج لغويّة ونتائج ، فمثلاً القول: الجو جميل فلنذهب إلى نزهة .

الجزء الأوّل من الجملة (الجو جميل) هو حجّة قولية ، أمّا الجزء الثاني (فلنذهب إلى نزهة) هو نتيجة.

وممّا سبق يمكن القول إنّ الحجاج هو فاعلية تواصليّة تهدف إلى استمالة المخاطب والتأثير فيه عبر مجموعة من التقنيات الخطابية في شكل متواليات قولية متكونة من حجج ونتائج.

[11] عبد الله صولة ، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب ، تونس، ط1، 2011م، ص13.
[12] أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطّبع ، الأحمديّة ، ط1،(2006م/1426هـ)، ص16.

ثانيًا: حجاجيّة الخطاب القرآني

في الوقت الذي كان فيه العرب مولَعِين بالجانب اللغوي من خلال إلقاء الخطب وقول الشعر وإقامة المناظرات، نزل القرآن الكريم كحجّة سماويّة وخطابًا موجّهًا يفوق قدراتهم اللغويّة ، فتحدّاهم الله من جنس ما يعرفون بهدف إصلاح الوضع السّائد وهدايتهم لسبيل الرّشاد عن طريق الإقناع والتأثير ،وذلك من خلال ضرب الأمثلة والشّواهد لأمم سابقة كبني اسرائيل ، وعاد ، وثمود...الخ، ليس هذا فقط ، حتّى الكلمات والصُّور والتّراكيب لها جانب تأثيري ، فالقرآن الكريم هو خطابٌ حجاجيٌّ بامتياز وما يثبت ذلك هو توافره على الكثير من المعطيات الحجاجيّة والتي جعلت أسلوبه مميّز عن غيره من الخطابات الأخرى .

وقد تعدّدت الخطابات فيه نظرًا لتعدُّد المخاطَبين وهم فيه نوعان حسب ما ذكره عبد الله صولة ، إذ يقول: « نوع يذكر داخل النّص القرآني وهذا بدوره قسمان ، قسمٌ منه مذكورٌ معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعيّنه شأن خطاب الرّسول ﷺ وخطاب الكافرين ... أمّا القسم الثاني فهو مذكورٌ في القرآن لكنّه غير محدّد وقد جعل ضمير المخاطب المفرد صورة نحويّة لمعرفته... والنّوع الآخر واقعٌ خارج النّص القرآني غير مذكور فيه ولكنّه مع ذلك معني بخطاب القرآن وهو جمهور السّامعين والمتلقّين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم»[13]، أمّا عن أنواع الخطابات فقد حدّدها الزركشي(745م/ 794م) في: خطاب الخاص والمراد به العموم ، وخطاب العام والمراد به الخصوص ، والجنس، والنّوع ، والذم، والكرامة، والتهكُّم, والاعتبار، والتهييج والإغضاب، والتشجيع ، والتحريض ، وتنفير ، وتحبيب، وتعجيز ، وتحسير ...الخ[14].

[13] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط2، 2007م، ص(41،42).

وانطلاقًا من القولين السّابقين يمكن القول بأنّ هناك علاقة بين نوع الخطاب والمخاطَب ، فبحسب طبيعة ووضع هذا الأخير تتحدّد نوعيّة الخطاب الموجّه له.

فالخطاب القرآني إذن هو خطابٌ موجّه إلى أنواع عدّة من المتلقّين (الجمهور الكوني) ، فهو ليس مقصورٌ على متلقٍّ معيّن في مكان وزمان مخصوصين ، وإنّما هو خطابٌ موجّه للبشريّة جمعاء، فالرّسول ﷺ بُعث للنّاس كافّة، قال تعالى :{ قل يا أيُّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السماوات والأرض}[15]، وكونه خطابًا موجّهًا فغايته الإقناع، وما يحقق ذلك توفُّره على أساليب الاستمالة والتأثير[16].

إنّ القرآن الكريم قد جاء لتقويم وضع الأمّة وإصلاحها، ويوضح ابن عاشور غاية القرآن الكبرى في قوله: « الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمّة فإصلاح الكفّار يكون بدعوتهم إلى الإيمان، وإصلاح المؤمنين يكون بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النجاح وتزكية نفوسهم»[17].

ومّما سبق يمكن القول إنّ القرآن الكريم هو خطاب حجاجي لأنّه كتاب إصلاح، بمعنى أنّه يرمي لتغيير وضع عن طريق الإقناع العقلي والعاطفي معًا.

ثالثًا: الخطاب الحجاجي سماته وأنواعه:

1) ضوابط الخطاب الحجاجي:

ليس كل خطاب كفيل بأن يقال عنه حجاجًا على الرّغم من وجود ظروف تواصليّة يجري فيها، إلاّ إذا توفّر على مجموعة من الأساليب الإقناعية المميزة له، والتي تمكّن المخاطِب من الدّفاع عن أطروحة معيّنة يفرضها السياق التّداولي.

وعليه إذن يمكن القول إنّ الخطاب الحجاجي هو خطابٌ مبني على أسس عقليّة

---

[14] ينظر: بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث، مصر،ط3، (1404هـ/1984م)، ج2،ص(218- 251).

[15] سورة الأعراف، الآية : 158.

[16] ينظر: عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص(42- 43).

[17] محمّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية ، (دط)، 1984م، ص81.

منطقية قائمة على البرهان والدّليل، موجّه إلى متلقٍّ خاص قصد التأثير فيه وتحقيق الفاعليّة الحجاجيّة ، وهذه الأخيرة تكون من خلال قدرة المرسل على طرح أفكاره بوضوح بعيدًا عن الغموض، فيجب عليه أن يكون مقتصِدًا ومختصرًا يفيد المعنى الأصلي وأن يأتي بالحجج في محلّها حتّى يتضح القصد ويحقق الحجاج قوته وهدفه الأسمى وهو الفعل في المتلقي[18].

وممّا سبق يتضح لنا وجود مجموعة من الضوابط الحجاجية ينبغي على المرسِل الالتزام بها ، فما هي إذن؟.

ويمكن اجمال هذه الضوابط في النقاط التالية:[19]

- ✓ يجب تحديد الألفاظ بدقّة بما يتناسب والمرجع الذي يحيل إليه الخطاب تجنُّبًا لكثرة التأويل التي تفقد الحجاج صلابته وغايته التي يصبو إليها.
- ✓ ألاّ يتناقض قول المرسل مع فعله ، كمن يدّعي أنّه عضو في لجنة الدّفاع عن حقوق الإنسان ثمّ يستعمل في ادّعائه حججًا واهيّة أو بأنّه يسيء الأدب مع المرسل إليه ؛ لأنّه بذلك يناقض نفسه في اللحظة التي يتلفّظ فيها بخطابه وهذا يشبه من يدعي أنّه يدعو لحقوق الحيوان وهو يرتدي معطفًا وينتعل حذاء من أجود أنواع الصوف والجلود الحيوانيّة.
- ✓ أن يكون الحجاج في حدود ما هو عقلي وإن كان عكس ذلك ضعف الخطاب وانقطع التّواصل.
- ✓ ان يراعي عمليّة الفهم والإفهام حتّى يتحقق الإقناع وذلك من خلال منطلقات مشتركة بين طرفي الخطاب ممّا يُتيح للمرسَل إليه تقديم رأيه حول القضيّة المطروحة.

---

[18] ينظر: عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر – مقاربة تداوليّة معرفية لآليات التواصل والحجاج -، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء، المغرب ، دط، 2006م، ص(128، 129).

[19] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2004م، ص(465- 468).

- ✓ أن يكون الحجاج واضح القصد بعيدًا عن كل ما يؤدي إلى المغالطة والإيهام.
- ✓ سعة اطلاع المرسِل في مجال خطابه سواء أكان دينيًّا أو سياسيًّا أو اجتماعيًّا...الخ، لها أهميّة في قدرته على بناء حججه والدفاع عن دعوته.

2) سمات الخطاب الحجاجي:

تنشطر ذات المتكلّم حسب طه عبد الرحمان إلى قسمين، الأول مدّعٍ والثاني معترض ;وعليه إذن يكون للمتكلّم مقامين : مقام المدّعي وهي الذات الظاهرة ، فالمتكلّم يطرح رأيه في صورة دعوى من عنده يدّعيها في حضور المستمع، ومقام المعترض وهي الذات الباطنة التي تشترك مع ذات المستمع في ممارسة الاعتراض ، لأنّ المتكلّم يعتمد على افتراض مختلف الأسئلة التي قد يوجّهها له المتلقّي[20].

ومنه يمكن اجمال سمات الخطاب الحجاجي التي حدّدها بنوا رونو في النقاط الآتية:[21]

أ- **القصد المعلن:** الخطاب الحجاجي هو خطابٌ مقصود يرمي إلى إحداث تأثير في المتلقّي والفعل فيه أي إقناعه بفكرة معيّنة.

ب- **التناغم:** النّص الحجاجي هو نصٌّ متناغم ،ويظهر هذا في اسلوب المتكلّم من خلال تنظيم الحجج وترتيبها وفق تسلسل دقيق يراعي فيه نفسيّة المتلقّي وقدرته على الاستيعاب .

ت- **الاستدلال :** أهم ما يميّز النّص الحجاجي أنّه قائم على البرهنة العقليّة المنطقيّة، فهو عبارة عن ترتيب عقلي للعناصر اللغويّة ترتيبًا يستجيب لنيّة

[20] ينظر: طه عبد الرّحمان ، اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1998م، ص265.

[21] ينظر: سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي- بنيته وأساليبه – عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط2، 2011، ص (26، 27).

الإقناع .

ث- **البرهنة :**ويقصد بها استعمال الشواهد والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورًا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال إلى ألطف فكرة وأنفذها.

وقد أضاف العديد من الباحثين سمات أخرى للخطاب الحجاجي ومنها:

ج- **الحواريّة أو التحاوريّة :**النّص الحجاجي قائم على الحوار الذي يشترط وجود علاقة بين مؤسس النّص ومتلقّيه[22]، يقول طه عبد الرّحمان: «لا كلام مفيد إلاّ بين اثنين لكلّ منهما مقامان هما مقام المتكلّم ومقام المستمع ،ولكلّ مقام وظيفتان هما: وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد، بحيث إذا كان المتكلّم معتقدًا كان المستمع منتقدًا »[23]؛ أي أنّ الاختلاف في الآراء يفضي إلى وجود تناقض يعزّز العمل الحواري من خلال دفاع كل طرف عن رأيه.

ح- **التخطيط (SCHEMATISATION):** لبناء أي نص حجاجي ينبغي وضع خطّة توضّح طريقة عرض الحجج والتي تمثل النموذج الامثل لوضعيّة ما دون أن تعكس مقتضيات البناء العلمي مع الاعتماد أساسًا على بعد حواري.

خ- **الانتقاء:** حتّى يحقّق الخطاب الحجاجي بعده الإقناعي لابدّ من انتقاء العناصر المكونة له بدقة من كلمات وتراكيب وصور تناسب السياق المقامي والظروف المحيطة به[24].

3) أنواع الخطاب الحجاجي :الاساس في الخطاب الحجاجي هو الفعل في المتلقّي؛ أي إقناعه والتاثير فيه ، وقد اختلف الباحثين في تحديد أنواعه وتعدّدت آراؤهم في ذلك، فهناك من يرى انّ الخطاب الحجاجي على ثلاثة أنواع : خطاب بلاغي، وخطاب فلسفي، وخطاب تداولي.

---

[22] ينظر: سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه -، ص28.

[2323] طه عبد الرّحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط2،2000م، ص99.

[24] ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه- ، ص30.

أ- **الخطاب البلاغي :** البلاغة كما هو معروف هي علم، له وسائله الخاصّة والمتعلقة بكل ما هو جمالي من المحسّنات البديعيّة والصُّور البيانية ، والتي تحقّق سحر البيان وزيادة قوة الوقع في نُفوس المتلقّين ، وفي هذه النُّقطة بالذَّات يُلمس تقاطع البلاغة مع الحجاج ؛ من جهة أنّ الحجاج يرمي إلى الإقناع والتأثير من خلال استعماله لمختلف التقنيات الخطابية الباعثة على الإذعان والتّسليم ، وهذا ما يفسّر وجود علاقة بين البلاغة والحجاج على اعتبار انّ هذا الأخير« هو الذي يتّخذ من البلاغة مجالاً له ، ويتّخذها اداة من الأدوات الحجاجيّة ؛ وذلك لاعتمادها الاستمالة والتّأثير عن طريق الحجاج بالصُّورة البيانيّة ، والاساليب الجماليّة ؛ اي إقناع المتلقّي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معًا حتّى يتقبّل القضيّة أو الفعل موضوع الخطاب»[25]، فالحجاج يأخذ من البلاغة الجانب الجمالي والذي من شأنه أن يزيد من القوة التاثيريّة الباعثة على القبول والتّسليم ، وبهذا فإنّ البلاغة على حد تعبير (روبول) :«لم تتعد لباسًا خارجيًّا للحجاج ، بل إنّها تنتمي إلى بنيته الخاصّة»[26]، ولمّا كانت البلاغة ترمي إلى الغبانة والوضوح قصد تحقيق الفهم والإفهام لأجل تقريب المعنى من نفوس المتلقّين بالإضافة إلى سعي « الوجوه البلاغية إلى إبراز حضور ما وتوكيده أو تلطيفه كما تجلو للعيان ما قد نفهمه أو نعتبره غير مفيد»[27]، فإنّ الحجاج في المقابل يسعى إلى سحب المتلقّي إلى مراد المتكلّم من خلال الكشف عن المقصود عن طريق الصيغ البلاغية، « فأهميّة الوسائل البلاغيّة تكمن فيما توفّره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا

[25] مثنّى كاظم الصادق، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي- تنظير وتطبيق على الصُّور المكية – منشورات ضفاف، بيروت ، ط1، (2015م/1436هـ)، ص47.

[26] أوليفي روبول، هل يمكن ان يوجد حجاج غير بلاغي ؟ ، ضمن : محمّد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012م،ص216.

[27] محمّد علي القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي صمّود، دط، دت، ص397.

انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصلُ بين أقسامه أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من الخطاب إي قيادة المتلقّي إلى فكرة ما او رأي معيّن ومن ثمّة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له ، أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال فالجمال يرفد العمليّة الإقناعية وييسّر على المتكلّم ما يروم من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها»[28]؛ وعليه فالبلاغة تمنح الخطاب الحجاجي الوظيفة الإقناعية من استثمار آلياتها المعروفة .

ويعدّ محمّد العمري من المهتمّين بالحجاج البلاغي من خلال ترجمته لدراسات أجنبية عُنيت بهذا الجانب ، بالإضافة إلى رصده لجوانب التأثير والإقناع في الخطابات العربية القديمة ، فهو يرى أنّ «البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير والإقناع أو هما معًا ، إيهامًا أو تصديقًا»[29] ؛ فبذكره للتأثير والإقناع أكّد على حجاجية البلاغة ، بالإضافة إلى انّ البلاغة موضوعها الخطاب ويكون احتمالي غير قطعي وهنا يدخل مجال الحجاج الذي يتميّز بالاحتمالية.

ب- **الخطاب الفلسفي:** مادام أنّ الخطاب الحجاجي هو خطاب إقناعي بالدّرجة الأولى ، ومادامت الفلسفة نشاط عقلي يخاطب الفكر، والفلسفة «يعني اجتراح للوجود وتأسيس للحقيقة ، والبداية هي دائمًا مشكلة وأزمة وسؤال ، إذ الوجود مجموعة أسئلة ، منها ما التحم مع جوابه فانبنت به الظاهرة وتأسست فيه الحقيقة ، ومنها ما ينتظر وفي الانتظار تكوين وتفعيل وإبداع للقضايا ، فالفلسفة موجودة في صيرورة البداية ، أي في التأسيس المستمر وفي الوعي المساوق لهذا التأسيس»[30]، وما يستنتج من هذا التّعريف أنّ منطلق الفلسفة هو إثارة مشكل

[28] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي – بنيته و أساليبه - ، ص120.

[2929] محمّد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ن افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ،ط2،2012م،ص06.

[30] عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة – مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي-، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، ط1، (2009م/1430هـ)، ص126.

أو تساءل ، ونجد في الحجاج نظرية تدعى المساءلة*لميشال ماييز ومنه إذن هل توجد علاقة بين الحجاج والفلسفة؟

بما أنّ الفلسفة لها خاصية التساؤل القائم على نشاط ذهني يعمل على تبرير الموقف الذي ولّد هذا الإشكال إمّا إثباتًا أو نفيًا من أجل حصول الإقناع والإقتناع ، وكذلك الحجاج يسعى إلى تحقيق الإقناع لدى القارئ حول أطروحة معيّنة إمّا بالإثبات أو النّفي ، وبالتالي فهناك علاقة بين الحجاج والفلسفة من جهة أن القدرة على الحجاج هي إجراء للتفكير الفلسفي على اعتبار أن الفلسفة هي خطاب لإقناع العقل عن طريق استحضار الحجة ونقيضها ، ومن ثمّ فقد ساهم البعد الحجاجي في تطوّر الخطاب الفلسفي تزامنًا مع تطوّر القارئ الفلسفي الذي اكتسب ملكة النّقد وحشد القرائن[31]، «إنّها ملكة تتطلّب مساوقة حجاجيّة ومنظومة من الإثباتات والقرارات المقنعة ، إذ لافهم لمن لم يقتنع ، أو هو فهم دون الفهم والإقتناع هنا لا يعني القبول والموافقة»[32]، فالإقتناع هنا ليس المقصود منه التسليم والقبول وإنّما هو «الاستدخال الفعال وهو الاستقبال وتقليب القضية عل أوجهها وعرضها على مبادئ العقل ومقارنتها مع قضايا سابقة ، واستوقافها على محكّ العمل»[33] وأبرز مثال يمكن تقديمه فيما يخص الخطاب الحجاجي الفلسفي الخطابة الأرسطية القائمة على وسائل الاستمالة الخطابية الآتية:

1. **الإيتوس (l'etos):** وهو الخطيب وما يتسم به من صفات وأخلاق.

[31] عمارة ناصر ، الفلسفة والبلاغة – مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي-، ص(124، 125).
[32] نفسه ، ص125.

*تقوم هذه النّظرية على جدليّة السؤال والجواب، فالتفكير عند ميشال ماييز يعني طرح الأسئلة والقدرة على الإستشكال ، ورسم ماييز مسافة بين الاسئلة والاجوبة ، حيث إنّ هذه الاخيرة ليست قبلية جاهزة أو تحصيل حاصل وإنّما اكتشاف(عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص105).

[33] عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة – مقتربة حجاجية للخطاب الفلسفي- ، ص125.

2. **الباتوس(lepathos):**وهو المتلقي وما يتعلق به من مشاعر وأحاسيس وانفعالات.

3. **اللغوس(logos):** وهو الرّسالة موضوع الخطاب وما تتوفر عليه من آليات لغوية باعثة على الاستمالة.

وبما أنّنا بصدد الحديث عن الحجاج الفلسفي وجب التمييز بين الحجاج والبرهان على الرّغم من أنّ الخطاب الفلسفي ليس خطابًا برهانيًّا بالمعنى الدّقيق للكلمة – ذلك أنّ البرهان ينتمي لحدود المنطق أكثر- بل هو خطاب حجاجي ، ومن أهم الفروقات بين الحجاج والبرهان مايأتي:[34]

- ✓ الحجاج مجالاته متعدّدة منها الفلسفة (هناك أيضًا الحجاج القانوني ، والحجاج السياسي ، والحجاج الخطابي...)، أمّا البرهان فمجاله المنطق.
- ✓ الحجاج شخصي ، بينما البرهان غير شخصي.
- ✓ الحجاج يمارس في اللّغة الطبيعة ، والبرهان في اللغة الرمزية .
- ✓ الحجاج يعطينا الإقناع ، بينما البرهان يعطينا الصواب او الخطأ.
- ✓ الحجاج أساسه الرّأي، امّا البرهان فأساسه الحقيقة.
- ✓ الحجاج لايقبل المعالجة الآلية ، أمّا البرهان فيقبل ذلك.

ومن المصطلحات التي تداخلت مع الحجاج من منظور الحجاج الفلسفي (الجدل) ، حيث ورد مرادفًا لمصطلح الحجاج في المعاجم العربية، يقول ابن منظور(630هـ/ 711هـ): «...رجلٌ محجاج اي جدلٌ...»[35] ، وقال أيضًا : «...الجدل اللّدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالاً ورجلٌ جدلٌ ومجدلٌ ومجدالٌ : شديد الجدل ... وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً ، والاسم الجدلُ ، وهو شدّة الخصومة ، وفي الحديث :(ما أوتي الجدل قومًا إلاّ ضلُّوا)»[36]؛

[34] أبو الزهراء ، دروس الحجاج الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة، دط، 2008م، ص(5، 6).
[35] ابن منظور ، لسان العرب، م2، ص228.

ومن هنا يتّضح أنّ الحجاج في المعاجم هو الجدل والجامع بينهما الخصومة.

ت- الحجاج التداولي: لقيت التّداوليّة رواجًا واسعًا في الدراسات اللسانيّة الحديثة ذلك لأنّها العلم الذي يسعى للكشف عن علاقة اللغة بمستعمليها .

فالتداوليّة كعلم معروف حديثًا ارتبطت نشأتها بالعديد من العلوم المعرفيّة (كعلم النّفس، واللسانيات ، والفلسفة ...)، ولعلّ أهم مبحث ارتبطت به التداوليّة هو الفلسفة وبالأخص فلسفة اللغة، والغالب أنّ بوادر هذا العلم تعود غلى الخمسينات من القرن العشرين تزامنًا مع محاضرات أوستين في جامعة هارفارد ضمن برنامج محاضرات (ويليام جيمس) سنة 1655م[37].

وقد رُصدت العديد من التّعريفات للتّداوليّة نظرًا لتقاطعها والتقائها مع العديد من العلوم ، إلاّ أنّ أقرب تعريف لها يكاد يجمع عليه جميع الدّارسين هو: « أنّها الدّراسة التي تعنى باستعمال اللغة»[38]، أو هي « دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنّه إلى أنّ المعنى ليس شيئًا متأصّلاً في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده ولا السامع وحده ، فصناعة المعنى تتمثّل في تداول negotitionon اللغة بين المتكلّم والسامع في سياق محدّد (مادّي ، لغوي، واجتماعي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»[39]؛ وعليه إذًا فالتداولية في معناها العام تعنى بكيفية استعمال المتخاطبين للوحدات اللغويّة في سياق تواصلي يعين على تحديد المعنى ، فمعاني الكلمات ليست قارّة في الذهن وإنّما السياق التداولي لهذه العبارات يوضح مقصديّتها ويكسبها الفاعليّة والتأثير في

---

[36] نفسه ، م11، ص(125، 126).

[37] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر: دغفوس ومحمّد الشيباني ، مر: لطيف زيتوني ، دار الطليعة للطباعة والنّشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003م، ص(27-29).

[38] فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين غلى غوفمان ، تر: صابر حباشة ، دار الحوار للنّش والتّوزيع ، سوريا ، ط1، 2007م، ص18.

[39] أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة ، دط،2002م، ص14.

التّواصل ، وبما أنّ الاستعمال الواقعي للعبارات ينقلها من طابعها الدلالي الحرفي الذي يتعلق بمعيار الصدق أو الكذب إلى طابعها الإنجازي المرتبط بقيم الاستعمال الحقيقي المنجز للعمل اللغوي ، وهذا ما أدّى بأوستين إلى القول بأنّ الجمل الإنشائيّة لا يحقق فيها معيار الصدق والكذب نجاعته ، ذلك لأنّ هذه الجمل تعود إلى فعل شيء ما فهي حدّ ذاتها عمل ، مثل العبارات المتداولة في الزواج التي يحكم عليها بالإخفاق أو التوفيق، ونفيه لهذا – الحكم على الجمل الإنشائيّة بالصدق أو الكذب- لأنّها أعمال لا يمكن وصفها ، وفي نفس السياق يرى بأنّ الجمل الخبرية يمكن الحكم عليها بالصّدق أو بالكذب ، والجمل الخبريّة في نظره هي افعال تقريرية وفي أثناء هذه المقابلة توصّل إلى أن كل الأقوال هي أعمال لغويّة وليست وصفًا تام ، وبهذا يتعذّر الحكم عليها بالصدق أو الكذب[40]، ولمّا كان الحجاج التّداولي هدفه الإقناع من خلال ما يقدّمه الخطيب من أفعال منجزة في موقف معيّن متّخذًا من الأبعاد التداوليّة المختلفة ، وبما فيها نظرية أفعال الكلام توجيهًا للخطاب الحجاجي وتفعيل العمليّة الحجاجيّة والإجابة عن التساؤلات والإشكالات التي تحيط بها حتّى يتّضح المقصود ، وتُحقّق الغاية من تغيير وضع المتلقي وسلوكه وهذا لا يكون إلاّ بمعرفة المخاطِب بكلّ ما يتعلّق بالمتلقّي، والحجاج التّداولي يتّخذ من الآليات اللغويّة كالرّوابط والسلالم الحجاجيّة أدوات تعمل على اتّساق محاور النّص وبالتّالي ضمان قوة العلاقة التّواصليّة بين المتكلّمين[41].

ويمكن تحديد المفاهيم الأساسيّة للحجاج التّداولي فيما يأتي :[42]

1. **وجهة النّظر:** وهي عبارة عن دعوى يقدّمها المحاجج أو الخطيب ويسعى من خلالها إلى سحب المتلقّي إلى الوجهة التي يريدها .
2. **القضيّة :** وهو موضوع الحجاج ، فالمحاجج يقدّم أطروحة معيّنة ويدافع

[40] ينظر: فيليب بلانشيه ، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان ، ص(53، 58).
[41] ينظر: مثنّى كاظم الصّادق ، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي – تنظير وتطبيق على السُّور المكّية -، ص52.
[42] نفسه ، ص 53.

عنها باستحضار مجموعة من القضايا الأخرى التي تدعّذم القضيّة الرّئيسيّة .

3. **العرض:** وهو عبارة عن طريقة تقديم القضيّة المطروحة باستعمال مجموعة من التقنيّات.

4. **الإعتراض:** الحجاج التداولي يفرض وجود طرفين أحدهما معترض على وجهة النّظر المطروحة ، فالاعتراض يهدف إلى الوصول إلى صدق القضيّة أو كذبها وبالتالي الإقتناع أو عدم الإقتناع.

أمّا الشهري فنجده يحدّد الحجاج في صنفين هما : الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي :

أ- **الحجاج التوجيهي:** ويركز فيه المتكلّم على طريقة توجيه الدّليل للمتلقّي من حيث طريقة تقديمه أكثر من اشتغاله بوجوب معرفة ردود الفعل التي قد تصدر عنه ومدى قبوله وتسليمه بالحجّة المعروضة عليه ، فالمرسل إذن في هذا النّوع يهتمُّ بطريقة تنظيم الحجج وسبكها بمختلف الوسائل اللغويّة ، وكيفية ايصالها للمتلقّي دون استحضار ذات المرسل إليه في ذهنه ومنه غياب أسلوب توقُّع النّقد[43].

ب- **الخطاب التّقويمي:** في هذا الصّنف يراعي المرسل في خطابه أمرين هما، الإقناع وهو الهدف الذي يريد تحقيقه ، بالإضافة إلى الحجج التي قد يعارضه بها المرسل إليه ، أي أنّه يقوم ببناء خطابه على حجج متوقّعة حتّى يغلق كل المنافذ في وجه الطّرف الآخر ، والتي قد يستغلُّها في الدّحض والإعتراض.[44]

[43] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداوليّة ، ص(470 ،471).
[44] ينظر: نفسه، ص(473،474).

رابعًا: نظريّة الحجاج اللغوي

هي نظريّة لسانية حديثة وضع معالمها الألسني الفرنسي (أزفالد ديكرو) منذ سنة 1973م ، وقد قدّم فيها الجديد لمجال الحجاج الذي جعل دراسته مختلف عن باقي النّظريّات والتّصوّرات الحجاجيّة التي تعدّ الحجاج منتميًّا إلى بلاغة أرسطو أو البلاغة الحديثة (بيرلمان ، تيتيكا، مايير) أو منتميًّا إلى الحجاج المنطقي مع غريز[45]، والسّبب هو اعتمادها على الآليات اللغوية التي تعمل على تقوية الحجة من اجل التأثير ، فهي :«نظريّة لسانيّة تهتم بالوسائل اللغويّة وبإمكانات اللغات الطّبيعيّة التي يتوفّر عليها المتكلّم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة ، ثمّ إنّها تنطلق من الفكرة الشّائعة التي مؤدّاها (إنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير)»[46]؛ وعليه إذن فهذه النّظريّة مجالها لساني لغوي قائم على وسائل لغويّة لها غاية حجاجيّة، أي أن هدفها الأسمى هو إثبات انّ اللغة تتضمّن خصائص وسمات تمكنها من أداء وظيفة حجاجيّة ، إذ «هذه النّظريّة تريد أن تبيّن أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتيّة وجوهريّة (Intrinsèque) وظيفة حجاجيّة ، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها»[47].

ويرى ديكرو أنّ اللغة هي عبارة عن إنجاز لأفعال في إطار تواصلي، وهذا التّواصل ليس مجرّد نقل الخبر من الباث إلى المتلقي بقدر ما هو أداء لأعمال لغويّة[48]، وهنا تلتقي نظريّة الحجاج اللغوي مع ما قدّمه أوستين وسيرل في أبحاثهم الفلسفيّة وخصُوصًا نظريّة الأفعال الكلامية ، وعليه يمكن القول إنّ هذه

[45] ينظر: صابر حباشة ، محاولات في تحليل الخطاب ، مجد المؤسسة الجامعيّة للنشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 2009، ص(123،124).

[46] أبو بكر العزّاوي ، اللغة والحجاج، ص14.

[47] نفسه، ص14.

[48] ينظر: جواد ختّام ، التداوليّة أصولها واتّجاهاتها، كنوز المعرفة ، عمّان ، ط1، 2016م، ص(131، 132).

النّظريّة مرجعها فلسفي ، فهي إذن قد انبثقت من« داخل نظريّة الأفعال اللغويّة التي وضع أسسها أوستين وسيرل ، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصُوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج »[49] .

ويعرّف الحجاج من منظور هذه النظريّة بأنّه : «تقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة ، وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال ، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغويّة وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها»[50] ؛ فالحجاج هو إنجاز بمعنى أنّه تطبيق ملفوظات متداولة ومتعدّدة أي أنّه مكوّن من ملفوظ حجّة و ملفوظ نتيجة ، ويكون متسلسل فالسبب يؤدّي حتمًا إلى نتيجة.

ويضيف أبو بكر العزّاوي قائلًا :«إنّ كون اللغة لها وظيفة حجاجيّة يعني أنّ التّسلسلات الخطابيّة محدّدة ، لا بواسطة الوقائع (sles fait) المعبّر عنها داخل الاقوال فقط ، ولكنّها محدّدة أيضًا وأساسًا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها ، وبواسطة المواد اللغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها»[51]، ونستنتج من هذا أنّ الوظيفة الحجاجيّة تتحدّد من خلال الوسائل اللغويّة الواقعة داخل بنية الأقوال ليس فقط في الوقائع.

وخلاصة ما سبق هو أنّ نظريّة الحجاج اللغوي تسعى إلى جعل الحجاج لصيق باللغة ولا يمكن الفصل بينهما ، وكما هو معروف بأنّ اللغة لها وظيفة تواصليّة فهي أيضًا لها وظيفة حجاجيّة.

1. **التّداوليّة المدمجة :** وهي من الأفكار التي نادت بها نظريّة الحجاج اللّغوي حتى أصبحت تنعت بنظريّة التّداوليّة المدمجة، والتّداولية المدمجة

[49] أبو بكر العزّاوي ، اللغة والحجاج، ص15.
[50] نفسه، ص 16.
[51] نفسه، ص(16، 17).

تسعى إلى ربط الدّلالة بالتّداول، وبذلك فهي تتعارض مع الرّأي القائل بالفصل بينهما والقائم على العلاقة الخطيّة بين التركيب والدّلالة والتّداول في دراسة اللغة ، فالتّركيب يعنى بالعلاقة النّحويّة الرّابطة بين المكوّنات اللغويّة ، والدّلالة تربط بين العلامة ومرجعها ، أمّا التّداوليّة فتعنى بالجانب الاستعمالي للملفوظات ومدى مناسبتها للمقام[52].

فالتداوليّة المدمجة تعمل على الرّبط بين الجانب القصدي (أي المعنى) للذات المتكلّمة مع السّياق المقامي الذي يجري فيه الحدث التّواصلي، وفي هذا الصّدد يقول محمّد طرُّوس:« يندمج التّداول في الوصف الدّلالي ويشتغل مباشرة على البنية التّركيبيّة فيسمّى بالتداوليّات المدمجة ؛ والوصف الدّلالي آلة لها نفس كفاءة الذوات المتكلّمة ؛ تربط المعنى بالقول وتُصَوْرِن الحدث اللساني باعتباره امتدادًا لذاتيّة المحلّل»[53]

2. سمات الحجج اللغويّة : للحجج اللّغويّة سمات فأي حجّة تكون **:** سياقيّة، نسبية ، قابلة للإبطال، فهذه الثلاث هي التي تميّزها :[54]

أ- **سياقيّة :** إنّ طبيعة الحجّة والنّتيجة يحدّدها السّياق ، فلا يمكن الحكم عن الحجّة بانّها حجّة إلاّ إذا وظّفت في سياق معيّن ، لأنّها قد تكون نتيجة في سياق آخر، وعليه إذن يمكن القول إنّ السّياق هو المتحكّم الفعلي في تصنيف الحجّة والنّتيجة.

ب- **نسبية :** الحجّة من حيث قوّتها درجات ، فقد يقدّم المتكلّم حجّة معيّنة تؤدّي إلى نتيجة ما، وفي المقابل قد يرد خصمه بحجّة أقوى منها.

ت- **قابلة للإبطال:** مهما كانت الحجّة قويّة فإنّها في الحجاج تبقى قابلة لأن

---

[52] ينظر: شكري المبخوت ، نظريّة الحجاج في اللغة ، ضمن : أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، اشراف: حمّادي صمّود ،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة ، كليّة الآداب ، منوبة ، تونس ، ص353.

[53] محمد طرّوس، النّظريّة الحجاجيّة – من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقيّة واللسانيّة – ، دار الثقافة ، الدّار البيضاء ، ط1، (1426هـ/2005م)، ص106.

[5454] ينظر ، أبو بكر العزّاوي ، الحجاج والمعنى الحجاجي ، ضمن : التّحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، تنسيق: حمُّو النّقاري ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، الرّباط ،ط1، (1427هـ/2006م)، ص59.

يعترض عليها، وهذا بخلاف ما نجده في البرهان المنطقي الذي يتّسم بالحتميّة وعدم القابليّة للإبطال.

3. أهم مفاهيم نظريّة الحجاج اللغوي: تقوم نظريّة الحجاج في اللغة على مجموعة من المفاهيم هي: العلاقة الحجاجيّة، والاتّجاه الحجاجي ، والقوّة الحجاجيّة، والسّلم الحجاجي .

❖ **العلاقة الحجاجيّة** : وهي الصّلة الرّابطة بين القول الحجّة والقول النّتيجة ، فالمتكلّم عندما يقدّم قولًا معيّنًا يعتبر حجّة إنّه يسعى من خلاله إلى حمل المخاطب على القبول بقول آخر يعدُّ نتيجة، وهذه النّتيجة قد تكون صريحة أو ضمنية ، فمثلاً عند قولك: تعبت إذن سأستريح ، فإنّه يتضمّن القول الحجّة (تعبت) والقول النّتيجة (إذن سأستريح)وما بينهما هو العلاقة الحجاجيّة[55].

❖ **المواضع الحجاجيّة :** في نظريّة ديكرو المواضع هي عبارة عن مبادئ مضمرة في الذهن ولا يصرّح بها في القول ، والمبادئ تكون مختلفة من مجتمع إلى آخر ، فهناك مثلًا : مبادئ اجتماعيّة ، وأخرى قوميّة وغيرها ، فهي إذن تمثّل «مبدأ حجاجيًّا عامًّا من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيًّا للحمل على قبول نتيجة ما، فالموضع فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع وعليها يرتكز الاستدلال في اللغة»[56].

❖ **الاتّجاه الحجاجي :** ويقصد به إسناد اتّجاه معيّن لقول ما من أجل الوصول إلى نتائج محدّدة، وهذا التّوجيه يعمل على توسيع أو تضييق الاحتمالات الحجاجيّة المتعلّقة بالنّتائج وتكون إمّا بالقبول أو الرّفض أو تغيير موقف معيّن، وتقوم بعض الوسائل اللغويّة على تحديد التّوجيه الحجاجي وبما فيها الرّوابط والعوامل الحجاجيّة[57].

---

[55] ينظر: عبد اللّطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط1، (1434هـ/ 2013م)، ص98.

[56] شكري المبخوت، نظريّة الحجاج في اللغة ، ص380.

❖ **القسم الحجاجي (la classe argumentative) :** يكون هناك قسم حجاجي إذا اعتمد المتكلّم في مقام خطابي معيّن على أكثر من حجّة تخدُم نتيجة واحدة، والقسم الحجاجي يتغيّر وفقًا لوضعيّة التّلفّظ الخاصّة بالمتكلّم وطبيعة النّتائج التي يخدمها[58].

❖ **القوّة الحجاجيّة (la force argumentative):** وتكون داخل القسم الحجاجي ، فالحجج المنتميّة لنفس القسم تتفاوت من حيث قوّتها وترتبط بعلاقة تراتب من جهة القرب والبعد عن النّتيجة ، فكلّما كانت الحجّة أقرب إلى النّتيجة كانت أقوى ، وهذا ما أقرّه ديكرو بأنّ الحجّة تؤكّد النّتيجة ولا تفرضها ، وبذلك يختلف الحجاج عن البرهان إذ انّ هذا الأخير حتمي يلغي التّدرّج.[59]

❖ **السلّم الحجاجي :** هو علاقة تراتبيّة لسلسلة من الأقوال (الحجج) المؤدّية إلى نتيجة واحدة ، وتتفاوت الحجج المنتميّة لنفس السّلم في قوّتها ومدى إثباتها للنّتيجة ويمكن أن نرمز له بالشّكل الآتي :[60]

ن = النّتيجة .

(ق1،ق2،ق3): حجج

وقد تطرّق طه عبد الرّحمان لمفهوم السّلم الحجاجي ووضع له شرطين، إذ يقول:

---

[57] ينظر: عبد اللطيف عادل ، بلاغة الغقناع في المناظرة، ص99.
[58] ينظر نفسه ، ص100.
[59] نفسه، ص(100،101).
[6060] أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج ، ص (20، 21).

«السّلّم الحجاجي عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ، مزوّدة بعلاقة ترتيبيّة وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السُّلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السّلم دليلًا على مدلول معيّن ، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى عليه»[61]

وللتّوضيح أكثر نمثّل للسّلم الحجاجي كالآتي:

أحمد من أكثر النّاس إحسانًا ، فهو يحسن لوالديه ، ويحسن لإخوته ، ويحسن لأصدقائه وجيرانه، ويحسن حتّى لأعدائه.

فالنّتيجة المراد إثباتها هي : (أحمد من أكثر النّاس إحسانًا) أمّا الحجج فهي مرتّبة كما يأتي:

أحمد من أكثر النّاس إحسانًا

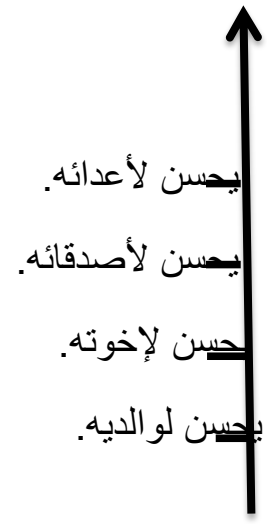

فالحجّة الأقوى هي: (يحسن لأعدائه) وجميع الحجج التي تقع تحتها لا تصمد بجانبها فهي الاكثر تأكيدًا وإثباتًا للنّتيجة (أحمد أكثر النّاس إحسانًا) ، وبالتالي القول بالحجّة (يحسن لأعدائه) يلزم عنه القول بالحجّة (يحسن لأصدقائه

[61] طه عبد الرّحمان ، اللسان والميزان ، ص277.

وجيرانه) وهذه يلزم عنها القول بالحجّة (يحسن لإخوته) وبدورها يلزم عنها القول بالحجّة (يحسن لوالديه).

وفي مقام الحديث عن السّلم الحجاجي لا يمكن إغفال أهم القوانين التي تحكمه ، وهي ثلاث: قانون الخفض، قانون النّفي، قانون القلب.

1. **قانون الخفض:** ويعرّفه طه عبد الرّحمان بقوله :« إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم ،فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»[62] ؛ والمعنى من هذا إذا قمت بنفي الحجّة الأقوى فإنّك تنخفض للتي تحتها ، مثلًا إذا نفيت إحسان أحمد لأعدائه تنخفض إلى الأصدقاء ، فمادام أنّه يحسن لأصدقائه فالأكيد يحسن لإخوته ووالديه، وإذا نفيت إحسانه لأصدقائه تقول إنّه يحسن لإخوته، إذن فيه بعض الإحسان، وإذا نفيت إحسانه لإخوته تقول إنّ احمد لديه صفة الإحسان لأنّه يحسن لوالديه ، وما يستنتج من قانون الخفض أنّ أي إلغاء لمستوى بالنّفي يستلزم عنه خفض النّتيجة.
2. **قانون النّفي :** ويقصد به إذا نفيت القول الحجّة فالأكيد تنفي معه النّتيجة، « فإذا كان قول ما (أ) مستخدمًا من قبل متكلّم ما ليخدم نتيجة معيّنة، فإنّ نفيه أي (- أ) سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادّة ، وبعبارة أخرى فإذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحدّدة بواسطة (ن) ، فإنّ (- أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحدّدة بواسطة (لا – ن)»[63]

ويطلق طه عبد الرّحمان على هذا القانون بقانون تبديل السلّم وهو في معناه أنّ القول إذا كان دليلًا على مدلول معيّن , فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله[64].

---

[62] طه عبد الرّحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2، 2000م، ص(105،106).

[63] أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج ، ص22.

[64] ينظر: طه عبد الرّحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 106.

3. **قانون القلب :** ويحدث فيه قلب للنّتيجة وبالتالي قلب للسُّلم ، يحصل معه قلب للحجج بحيث تصبح الأضعف أقوى والاقوى أضعف، أي :«إذا كانت إحدى الحجّتين اقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معيّنة، فإنّ نقيض الحجّة الثانيّة أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التّدليل على النّتيجة المضادّة»[65]

[65] أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج ، ص22.

الفصل الأول: التشكيل الحجاجي للغة من حيث التعليل والشرط والوصف والإنجازية والتبادل

سيتم في هذا الفصل التركيز على بعض الوسائل اللغوية المتمثلة في ألفاظ التعليل،

والشرط، والوصف، والانجازية، والتبادل مع بيان دورها الحجاجي من خلال تطبيقها على نماذج من خطابات أولي العزم من الرسل، لكن قبل الحديث عن هذه الأدوات والتفصيل فيها لابد من التعريف بأولي العزم من الرّسل أولا ؛ فهم خمسة :

نوح وإبراهيم و موسى وعيسى عليهم السلام ومحمد ﷺ.

1/- نوح عليه السلام:

هو نوح بن لامك بن مَتُّو شلْخ بن خَنوخ - وهو ادريس – بن يَرْد بن مَهْلاييل بن قَيْنَنبن أَنوش بن شيث بن آدم عليه السلام،بعث نوح إلى قومٍ يعبدون الأصنام وشيع عنهم الضلال فجاء نوح عليه السلام وهو أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقومه يقال لهم بنو راسب ، وقد أُختلف في مقدار سنّه عندما بعث ،فمنهم من قال بأنه كان ابن خمسين سنة ، وهناك من قال ثلاثمائة وخمسين سنة ،وقيل أيضاً أنَّه كان ابن أربعمائة وثمانين سنة [1].

2/-ابراهيم عليه السلام :

هو ابراهيم بن تارَخ بن ناحُور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابربن شالخ بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح عليه السلام كان ابراهيم عليه السلام يكنى بأبي الضيفان ،وأُرْسل إلى قوم بأرض حرَّان وهي أرض بابل وما جاورها وكانوا يعبدون الكواكب ويعملون لها الأعياد والقرابين، ليزيل الضلال ويبطله[2].

3/-موسى عليه السلام:

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ،وأرسل إلى بني إسرائيل ليخلصهم من طغيان فرعون واستعباده لهم.[3]

4/-عيسى عليه السلام:

وهو المسيح بن مريم ،وقد تعرضت عليها السلام للكثير من المضايقات من قومها فذكر:« أنَّها ظهرت عليها مخايل الحمل كان أوَّل من فطن لذلك رجلٌ من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدا...

[1] ينظر: ابن كثير ،قصص الأنبياء ،تح: مصطفى عبد الواحد ،مكتبة الطالب الجامعي ،مكة المكرمة ،ط3 ،(1408ه / 1988) ، ص(84،83).
[2] ابن كثير قصص الأنبياء ،ص(155-157).
[3] ينظر: نفسه، ص(347، 348).

فقال : يا مريم هل يكون زرعٌ منْ غير بذر؟ قالت :نعم، فمن خلق الزرع الأوّل ؟ قال : فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت :نعم ، إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال: لها فأخبريني خبرك. فقالت: إنَّ الله بشرني (بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد و كهلا ومن الصالحين)»[1].

5/- محمد ﷺ:

هُو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر –وهو الملقب بقريش وإليه تنسب القبيلة –بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتعرف أسرة الرّسول صلى الله عليه وسلم بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف. [2]

توفي أبوه وهو في بطن أمه، وتوفيت والدته وعمره ست سنوات كفله جده عبد المطلب وبعد وفاته كفله عمّه أبو طالب ،أرضعته حليمة السعدية ،تزوج خديجة وعمره خمسة وعشرون سنة ،نزل عليه الوحي وهو يتعبد في غار حراء ،وأول ما نزل عليه من القرآن "اقرا باسم ربك " عن طريق جبريل عليه السلام ،وكان يلقب بالصادق الأمين.

أولا: ألفاظ التعليل

يعتمد المرسل في بناء خطابه الحجاجي على مجموعة من الوسائل اللغوية، من بينها ألفاظ التعليل والتي تعمل على بيان علة أو سبب رأيه أو موقفه الموجه إلى المرسل إليه.

وتنقسم أدوات التعليل إلى أسماء وحروف يتمثل التعليل بالأسماء في المفعول لأجله أما الحروف فمنها لام التعليل، كي، لكي، لئلا...لكن قبل التفصيل في هذه الألفاظ لابد من الإشارة إلى مفهوم العلَّة.

1) تعريف العلّة:

أ- لغة: جاءت العلّة في معجم لسان العرب بمعنى "السبب" فقد ورد فيه «هذا علة لهذا أي سبب، وفي حديث عائشة : فكان عبدالرحمان يضرب رجلي بعلّة الرّاحة أيْ بسببها ، يُظهرأنه يضرب جنْب البعير برجله وإنَّما يضرب رجلي. وقولهم على علاته أي على كل حال ؛ وقال :وإن ضربت على العِلَّاتِ أُجَّت*** أجيج الهِقل من الخيط النعام»[3].

[1] نفسه:ص662.

[2] صفي الرحمان المبار كفوري ،الرحيق المختوم –بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم – دار إحياء التراث ، د ط ، د ت ، ص(39،40).

[3] ابن منظور ،لسان العرب ،ج11،مادة علل،ص471.

ب- اصطلاحا: تعرَّف العلة على أنَّها الجامعة بين الأصل والفرع وعليها حُمل الفرع على الأَصل وهي غير مدخولة بالنقض و الإبطال وغير متسمَّحٌ فيعدم التثبُّت فيها مع القدرة على تحقيقه، وقد جاء في الاقتراح قوله:« إذا استقريت أصول هذه الصِّناعة علمت أنَّها في غاية الوثاقة وإذا تأملت عِللها عرفت أنَّها غير مدخولة ،ولا متسمَّحٌ فيها»[1].

ومن معانيها أيضا أنَّها سبب وجود الشيء والمؤثر فيه.[2]

2) التعليل بالأسماء:

ويتمثل في المفعول لأجله وهو من ألفاظ التعليل التي يمكن أن توجه حجاجيا وهذا ما يساعد المرسل في تقديم دعواه بوضوح ، ويذكر في الخطاب على وجوه مُختلفة فهو «لا يكون إلاَّ مصدرًا ويكون العامل فيه فعلا من غير لفظه، وإنَّما يذكر المفعول له؛ لأنَّه عذر وعلة لوقوع الفعل»[3]، ويستنتج من هذا التعريف أنَّ المَفعول لأجله يجب أن يكون:

- مصدرا.
- مُوظفا للتعليل.
- حاملا لدلالة الفعل(يشاركه في الزمن).

والمفعول لأجله يكون على ثلاثة أقسام «مجرد من "الـ" ، والإضافة... ومُضاف و...مقترن بـ "الـ"».[4]ومثال هذا النوع من ألفاظ التعليل تتضح حجاجيّته من خلال تحليل الخطاب الآتي:

{وقال إنَّما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم (24)} سورة العنكبوت.

هذا الخطاب موجّه من إبراهيم عليه السلام إلى قومه يبيّن سبب اتخاذهم الأوثان آلهة من دون الله ، فجاء المفعول لأجله "مودة" ليوضح هذه العلة ؛ فالمودة هي الباعث على اتخاذهم الأوثان آلهة من دون الله ، والتوجيه الحجاجي للآلية الموظفة في هذه الآية يتمثل في التأكيد على رفض مودة الآلهة لأن الله هو الأحق بالعبادة والمودة.

3) التعليل بالحروف:

[1] جلال الدين السيوطي ،الاقتراح- في علم أصول النحو - ،تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ، د ط، (1426 ه/2006 م)،ص249.

[2] ينظر: سعيد بن محمد بن عبد الله القرني ، التعليل في القرآن الكريم (دراسة نحوية) ،مش: مصطفى ابراهيم علي عبد الله ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ،(1420 ه/1421 ه)، ص14.

[3] ابن جني ، اللمع في العربية ، تح : سميح ابو مغلي ،دار مجدلاوي ،عمان ، د ط ،1988 م ،ص50.

[4] حسن عباس ، النحو الوافي ، دار المعارف للنش، ط 15 ، د ت ،ج2،ص 237.

للحروف معاني ومنها التعليل، ومن الحروف الدالة عليه في العربية:

أ- لام التعليل: في أصلها حرف جر ، لكنَّها تفيد التعليل من جهة بيان سبب الفعل أو الحدث ،ومن شروطها أنَّها«تدخل على الفعل المضارع فينصب بـ (أنْ) مضمرة جوازًا بعدها»[1]. نحو: استدعيتك لأجازيك على حسن خلقك.

ومن بين النماذج التي توضح حجاجية لام التعليل ما يأتي:

{ ومصدقاً لما بين يديَّ مِنَ التوراة ولأُحِلَّ لكم بعض الذي حرِّم عليكم (49) } سورة آل عمران .

هذه الآية عبارة عن خطاب سيدنا عيسى عليه السلام لقومه يدعوهم فيها للتوحيد بالله وطاعته من خلال إثباته صدق التوراة و إحلال بعض ما حرم.

وجاءت لام التعليل لبيان صدق الدعوة وتوضيح السبب من بعثته رسولا فيهم وهو إحياء أحكام التوراة وتحليل بعض ما حرَّمه الله عليهم مراعاةً لتغير الأزمنة والظروف[2]، والتوجيه الحجاجي الذي يوضح السّبب من توظيف لام التعليل هو التأكيد على صدق التوراة بالإضافة إلى تصحيح بعض المواقف والمفاهيم التي كانت متداولة من خلال إحلال بعض ما كان محرَّمًا عليهم فلام التعليل بيَّنت سبب الحدث المتمثل في إرساله فكانت النتيجة تحليل بعض ما حرِّم مما قد يوجه المخاطَب الوجهة التي يريدها المخاطِب ، وقد ساهمت لام التعليل في زيادة قوة الحجة من خلال الارتباط بها وقد كان في ذلك مراعاة للأحوال وهذا ما يعمل عليه الحجاج لتحقيق الاستمالة وممّا سبق يتضح أنّ أداة التعليل لها دورٌ بارزٌ في تقوية الطّرح الحجاجي وهذا قد يزيد من درجة الإقناع.

{وإنِّي كلَّما دعوتهم لتغفر لهم(07)}سورة نوح.

هذه الآية توضح خطاب سيدنا نوح عليه السلام ،وقد وردت فيه لام التعليل لتبيّن سبب دعوة نوح قومه للتوحيد من أجل حصولهم على المغفرة فالدعوة إذا معللة بالغفران والتوجيه الحجاجي هو التأكيد على صدقه في دعوته لهم بالمغفرة.

ج- لعل: على الرغم من أنَّها حرف مشبه بالفعل من أخوات

"إنَّ"، إلاَّ أنَّها تفيد التعليل ، نحو : اجتهد لعلك تنجح.[3]

[1] إميل بديع يعقوب ،معجم الإعراب والإملاء ،دار العلم للملايين ،بيروت –لبنان ،ط 1983،1،ص448.
[2] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ،ج3، ص253.
[3] ينظر: ابراهيم قلاتي ،قصة الإعراب - جامع دروس النحو والصرف - ،دار الهدى ، عين مليلة -الجزائر، د ط،، د ت، ص365.

ومثال ذلك في خطابات أولي العزم من الرسل ما يلي:

{اذهبا إلـى فرعون إنه طغى (42) فقولا لـه قولا ليّناً لعلَّه يتذكـر أو يخشى(43)} سورة طـه

يوضح هذا الخطاب أمر الله سبحانه وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون بسبب طغيانه ، ف«جملة "إنَّه طغى " تعليل للأمر بأن يذهبا إليه ، فعلم أنَّه لقصد كفه عن طغيانه»[1] فجاء هذا الخطاب حاملا اتجاها حجاجيا القصد منه بلوغ نتيجة محددة وهي تراجع فرعون عن رأيه فقد كان يعتقد أنه إله ولابد من عبادته.

{ ومـا يدريـك لعلَّه يزَّكَّـى (03) أو يـذَّكَّرُ فتـنفعـه الذكْـرى(04)} سورة عبس.

نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم عندما جاء للنبي ﷺ يخاطبه فأعرض عنه وأقبل على رجل من عظماء المشركين .[2] وأداة التعليل الواردة في هذه الآية هي "الفاء السببية" وما قبلها ترجي يوضح السبب من انتفاعه بالذكرى لو أنَّه أصغى له، والاتجاه الحجاجي يتمثل في تصحيح الموقف الذي حصل من النبي ﷺ بإعراضه عن الرجل الأعمى وانشغاله بسيد من سادة قريش.

ب- كـي: وهي من حروف الجر ولها عدة معانٍ تفهم من السياق الذي وظفت فيه ومن بين هذه المعاني التعليل ،وذلك لأنها «حرف معناه العلة والغرض من ذلك أنك إذا قلت قصدتك كـي تثيبني فُهم من ذلك أنَّ الغرض غنَّما هو الثواب وهو علَّة لوجوده، وهي على ضـربين : تكون حرف جر بمعنى اللام ، وناصبة للفعل بمعنى (أن) »[3].يقول تعالى :

{فلماَّ قضى زيدٌ منها وطراً زوجنـاكها لكي لا يكون على المؤمنين حـرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنَّ وطـراً وكان أمر الله مفعـولا (37)} سورة الاحزاب.

وهي عبارة عن خطاب موجه للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد وردت فيه أداة التعليل (لـكـي) لتبيّـن سبب زواج الرسول من زوجة زيد ، فكان المقصد إقامة الشريعة «وهي إبطال الحرج الذي كان يتحرجه أهل الجاهلية من أنْ يتزوج الرجل زوجة دعيّه ،فلمَّـا أبطله الله بالقول إذ قال {وما جعل أدعياءكم أبناءكم }أكد إبطاله بالفعل حتى لا يبقى أدنى حرج من ذلك»[4]،وعليه فقد كان لأداة التعليل (لكـي) قصد حجاجي من جهة بيان العلة أو السبب أمَّا التوجيه الحجاجي فكان بتصحيح مفهوم الحرج من

[1] محمـد الطـاهر بـن عاشور، تـفسير التحرير والتنوير ، ج16، ص224.
[2] ينظـر :نفسه ، ج30،ص103.
[3] ابن يعـيش، شرح المفصَّـل ،إدارة الطباعة المنيرية ،مصـر، د ط ، د ت ، ص14.
[4] محمـد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ،ج22،ص39.

زواج الرجل من زوجة دعيه فزال الالتباس بأمر الله النبي ﷺ أن يتزوج زوجة زيد رضي الله عنه.

ت- الباء السببية : وتفيد التعليل عندما تكون مكان اللام كما في قوله تعالى :

{ما خلق الله ذلك إلاَّ بالحق}[1] والتقدير للحق[2]، ووردت هذه الأداة في قوله تعالى:

{إنَّا أنْزلنا إليك الكتاب بِالحق (104)}سورة النساء.

جاءت هذه الآية كخطاب للنبي ﷺ يبيّن له فيه الله سبب تنزيل الكتاب عليه وأنَّه كان من أجل الحق فالحجة هي القول "الحق"، أمَّا النتيجة فهي "إنَّا أنزلنا الكتاب" والرابط بينهما"الباء السببية " وهي من أدوات التعليل وتوجيهها الحجاجي هو التأكيد على أن القرآن الكريم بما جاء فيه حقٌّ فتنزيل الكتاب– القرآن الكريم –عليه ﷺ كان بسبب إحلال الحق وإبطال الباطل .

فقد أدت الباء السببية دورها الحجاجي من خلال الربط بين الحجة والنتيجة وهذا ما أدى إلى بعث الراحة والطمأنينة في نفس الرسول ﷺ .

ث- **الكاف:** ذهب الكثير من النحاة على أن الكاف تفيد التعليل ومنهم

الزركشي والسيوطي والأخفش كما أنَّ الزجاج أكد على أنّها ترد بمعنى "من

أجل"[3]، وذلك مثل قوله تعالى:

{قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة(138)} سورة الأعراف.

وهي خطاب بني اسرائيل لموسى عليه السلام توضح السبب من أن يجعل لهم إله مثل الاله الذي رأوه عند القوم الذين مرُّوا عليهم ، وعلى الرغم من أن الكاف هي أداة تشبيه إلاَّ أنَّ السياق الذي وردت فيه يوضح دلالتها على التعليل وذلك لأنَّها بيَّنت العلة من طلبهم ومن هنا يتضح دورها الحجاجي أما التوجيه الحجاجي فيتمثل دعوة موسى عليه السلام إلى تحقيق ما يريدونه بجعل آلهة لهم لكن هذا لم يحصل طبعا ، فحجتهم على طلبهم للإله هي رؤيتهم لآلهة القوم الذين مرُّوا عليهم .

[1] سورة يونس، الآية :05.
[2] ينظر: الرماني ،معاني الحروف ، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي ،المكتبة العصرية ،بيروت ،ط 1، (1426 ه/2005 م)،ص7.
[3] ينظر: نفسه، ص24.

وبتحليل النماذج السابقة واستخراج أهم أدوات التعليل الواردة يمكن القول إنَّ أسلوب التعليل يرمي لتحقيق مقاصد حجاجيه تستشف من جهة أنَّ التعليل يقدم فكرة ويبيّن سببها، مما قد يجعل فعل المحاج ذا قوة باعثة على التأثير، والملاحظ

أيضًا على خطابات الرّسل وجود تنويع في أسلوب التعليل الباعث على الإقناع

وكانت لام التعليل هي الأكثر توظيفًا لتأتي بعدها الأداة (لعلّ).

ثانيا :الشرط

يقوم الشرط على دعامتين ؛فعل الشرط وجوابه وتكون بينهما علاقة تلازم يوضحها الرابط وهو أداة الشرط والتي تؤدي دوراً بارزا في الربط الدلالي بين جملة الشرط وجوابه، وبالعودة إلى القرآن الكريم نجده زاخراً بالتراكيب الشرطية ، وبما أنّ القرآن الكريم كما ذكر سلفاً خطابا حجاجيا فأسلوب الشرط يعد من الوسائل اللغوية التي تثبت حجّيَّته ،من جهة أن الجملة الشرطية تتألف من ثلاث أجزاء (أداة الشرط وجملة الشرط وجملة جواب الشرط) إذ تعمل الأداة على بيان العلاقة المنطقية بين جملة الشرط التي تمثل حجة والجواب التي تمثل النتيجة.

وأسلوب الشرط تتضح حجاجيته من خلال سياقه التداولي ، فقد تقدم في خطاب واحد عدة حجج من أجل الوصول إلى نتيجة واحدة في نهايته، فإذا« كانت كل حجة من الحجج الأولى مقدمة ظاهرة تستتبع نتيجة، فتصبح النتيجة مقدمة لما بعدها ... ويمكن بناء على هذا التسلسل الشرطي الظاهر الربط بين أول مقدمة وآخر نتيجة في الخطاب... كما قد يرد الحجاج في التراكيب الشرطية المضمرة والتي تتضح من خلال العلاقة المنطقية المتلازمة بين طرفين»[1] ، وكل أداة من الأدوات الشرطية لها سمة تميّزها عن غيرها ،فكل واحدة منها لها قصد حجاجي لا يتم إلاَّ بها والذي يعين على فهم ذلك القصد هو السياق الذي ورد فيه الخطاب ، ومن هذه الأدوات ما يأتي :

1- لـو: هي أداة امتناع لامتناع حاملة معنى الشرط غير جازمة تدخل على جملتين الأولى شرطية والأخرى جوابية ،وتقتضي أن يكون جوابها فعلاً ماضياً أو مضارعاً يجوز اقترانه باللام أو عدم اقترانه ،وقد تدخل على

"أنّ" ومعموليها فيكون الفعل بعدها مقدر ب"ثبت".[2]ووردت هذه الأداة في قوله تعالى:

{ ولو نزَّلْنا عليك القرآن في قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاَّسحرٌ مبينٌ(08) } سورة الأنعام. هو خطاب موجه إلى النبي ﷺ ، فقد اشترط قومه أن ينزل

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية -،ص(480،481).
[2] ينظر: إبراهيم قلاتي ، قصة الإعراب ، ص318.

عليه الكتاب من السماء جملة واحدة ليروه ويلمسوه حتى يصدِّقوه إلاَّ أن تحقيق هذا الامر لن يكون نهاية لمكابرتهم ووقاحتهم بل سيستمرون في تسليط التهم والافتراء عليه ،وقد ورد في تفسير التحرير والتنوير قوله«بأيديهم تأكيد لمعنى اللمس لرفع احتمال أن يكون مجازا في التأمل ،كما في قوله تعالى "وإنَّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهبا" ،وللإفصاح عن منتهى مااعتيد من مكابرتهم ووقاحتهم في الإنكار والتكذيب».[1]
إنَّ توظيف حرف "لو" جاء لتحقيق غاية حجاجية ، فهي أداة امتناع لامتناع وبالتالي تقدم قوة إقناعيه من خلال تجارب سابقة ، والمتمثلة في الكتب السماوية المعروفة (التوراة والإنجيل...) وتتضح حجاجية "لو" في امتناع تنزيل الكتاب ولمسه بأيديهم لامتناع إيمانهم ، فالقول (نزّلنا عليك الكتاب في قرطاس فلمسوه بأيديهم)حجة للقول (لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاَّ سحرٌ مبين) ، واتجاهها الحجاجي هو التأكيد على رفض الكتاب من أساسه وهذا بسب طغيانهم وكفرهم .

{قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزَّلْنا عليهم من السماء ملكاً رسولا(95)} سورة الإسراء.

ما يفهم من هذه الآية أنَّ القوم استنكروا نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم بصفته بشراً مثلهم فالله سبحانه وتعالى :« يرسل الرسول للقوم من نوعهم للتمكين من المخالطة لأنَّ اتحاد النّوع هو قوام تيسير المعاشرة، قال تعالى :"ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً" ، أي في صورة رجل ليمكن التخاطب بينه وبين الناس».[2]

فالحجة التي تبين سبب بعث رسول منهم قوله :"لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين" ،فنظراً لأنَّهم ليسوا ملائكة يتصفون بالاستقرار والسكينة كانت النتيجة أن جاءهم بشرا رسولاً ، فالقول "لنزلنا عليهم ملكا رسولا" نتيجة للحجة السابقة وبما أن " لو" تحمل في معناها الشرط وهي أداة امتناع لامتناع فقد امتنع ارسال ملكا رسولا لامتناع وجود ملائكة في الأرض ف: "لو" جاءت في هذه الآية لتبين ما هو معروف ومشترك يتفق عليه الحس والواقع وأدت قصدها الحجاجي من خلال امتناع حدوث الشيء الخارق للواقع وتوجيهها الحجاجي هو تصحيح مفهوم أن الرسول لا يمكن أن يكون ملكا ، لأن الأرض لايوجد بها ملائكة لهذا بعث فيهم بشرا رسولا من جنسهم .

{ قال لو شئت لتَّخذت عليه أجراً(76)}سورة الكهف.

في هذه الآية يتضح لوم موسى عليه السلام للخضر على إقامته للجدار لأنهم طلبوا الطعام من أهل القرية ولم يعطوهم فلهذا السبب لامه على عدم أخذه لأجر اقامته الجدار

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج7،ص142.
[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج15،ص213.

وهذا شرط[1]. فالأداة الشرطية لو ساهمت في توصيل القصد الحجاجي من خلال امتناع الرغبة في أخذ الأجر لهذا امتنع طلبه له فالحجة هي قوله "لو شئت" والنتيجة "لاتخذت عليه أجرا" فهو باستطاعته طلب الأجر ولكنه لم يفعل ذلك لوجود هدف وسبب لا يعلمه موسى عليه السلام ، وبالتالي يكون القصد من التوجيه الحجاجي هو تغيير وجهة نظر سيدنا الخضر بمحاولة من موسى عليه السلام لكن الخضر امتنع عن ذلك لوجود سبب وحكمة لم يكن يعلمها موسى عليه في البداية.

2- لـولا: ترد علـى عدة أوجه من بينها ،حرف امتناع لوجود فهـي« حرف

يتضمن معـنى الشرط يدلُّ على امتناع شيء لوجود غيره ... ومن أحكام (لـولا) أن الاسم بعدها يرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف وجوباً،وأن جوابها يقترن باللام ،وقد يحذف هذا الجواب.»[2] ، وبتحليل الخطابات الآتية تتبيّن حجاجيّة (لولا) :

{ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمَّت طائفة منهم أن يضلُّوك وما يضلُّون إلاَّ أنفسهم(113) }سورة النساء.

هذا خطاب موجه إلى الرسول صلـى الله عليه وسلم يبين له فيه الله سبحانه وتعالى أنَّه معـصوم من الخطأ وهذا بفضل الله ورحمته ولو لم يكن كذلك للقي قوم "طعـمة " السبيل إلى إضلاله وتلبيسه التهم الباطلة[3] ،لكن ما عرف عن النبيإلاَّ الصدق والأمانة وبما أن لولا هي أداة امتناع شيء لوجود غيره فقد امتنع وقوع النبي ﷺ في الضلال لوجود رحمة الله وفضله من خلال عصمته من

الأخطاء، فالحجة هي رحمة الله وفضله عليه بالعصمان ولولاها لهمَّت طائفة بإضلال النبي ﷺ ، فالقصد الحجاجي من توظيف لولا هو الامتناع عن الوقوع في الضلال بوجود رحمة الله ، وبالتالي يكون التوجيه الحجاجي بغرض التأكيد على رفض الوقوع في الضلال لوجود حكمة إلهية في ذلك.

{ولولا كلِمة سَبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمَّى (127)}سورة طـه.

هذه الآية عبارة عن خطاب موجه للرسول ﷺ ، يبين له فيه الله سبب تأجيل العذاب عن أهل مكة لأمر لا يعلمه إلا الله ، فكان في هذه الآية «من التحذير والتهديد والعبرة بالقرون الماضية ، وبأنهم جديرون بأن يحل بهم مثل ماحل بأولئك فلما كانوا قد غرتهم أنفسهم بتكذيب الوعيد لما رأوا من تأخر نزول العذاب بهم فكانوا يقولون "متى هذا الوعد

[1] ينظر : نفسه ، ج16، ص9.
[2] إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء،ص480.
[3] ينظر: جلال الدين المحلي والسيوطي ، تفسير الجلالين ،دار الامام مالك ، الجزائر ، د ط ،(1438ه/2017م)، سورة النساء الآية 102.

إن كنتم صادقين " عقب وعيدهم بالتنبيه على ما يزيل غرورهم بأنَّ سبب التأخير كلمة سبقت من الله بذلك لحِكم يعلمها»[1].

وحجاجية هذه الآية اتضحت من خلال استعمال أداة الشرط "لولا" التي قامت بالربط بين فعل الشرط وجوابه الذين يقومان مقام الحجة والنتيجة ،فالقول الحجة "لولا كلمة سبقت من ربك أمّا "لكان لزاما" فهو النتيجة ، وبما أنَّ "لولا" هي أداة امتناع شيء لوجود غيره ، فقد امتنع وقوع العذاب على أهل مكة لوجود كلمة سابقة من الله لا يعلمها إلاَّ هو والتوجيه الحجاجي هو تصحيح مفهوم السبب من تأخر العذاب.

3- كلّما: هي ظرف زمان يحمل معنى الشرط ،و«تفيد تكرار وقوع الجواب بتكرار وقوع الشرط في الزمن الماضي ، وشرطها وجوابها دائماً ماضيان»[2]، وقد وردت هذه الأداة في خطاب نوح عليه السلام الآتي :

{ وإني كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم (07)}سورة نوح.

وهو خطاب نوح عليه السلام لربّه يشكو استكبار قومه وصدهم لكل دعوة دعاهم فيها للتوحيد بالله .[3] واسم الشرط "كلَّما" قد أفاد في توجيه الحجة نحو النتيجة من خلال الربط الزمني بينهما ، فكلما تكررت دعوته لهم ، تكررت نفس ردة الفعل وهي جعل أصابعهم في آذانهم ، وعليه فالتوجيه الحجاجي هو التأكيد على رفض قومه لدعوته.

4- إمَّا: تحمل عدة معاني منها الشرط ،فإمَّا الشرطية «مركبة من "إن" و "ما" وذلك في الشرط نحو قولك :إمّا تخرجن فأخبرن»[4] ،وقد تجسدت هذه الأداة في خطاب عيسى عليه السلام ، يقول تعالى: { فإمَّا ترينَّ من البشر أحدا فقولي لن أكلِّم اليوم إنسياًّ(25)} سورة مريم .

توضح هذه الآية خطاب عيسى عليه السلام لأمِّه فأوحى لها بالصوم عن الكلام لتجنب سؤال قومها عنه وما يعتبر حجة في الآية هو جملة الشرط "إما ترين من البشر أحدا " أما جوابها فقولي " هي النتيجة المتوخاة من الحجة ، وقد ساهمت الأداة الشرطية "إماَّ" في ربط الحجة بالنتيجة ،مما أدى إلى إقناع قومها بالسكوت عن الجدال ، والتوجيه الحجاجي هو دعوة عيسى أمه بالصوم عن الكلام حتى

تتجنب أسئلة القوم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16،ص335.
[2] سليمان فياض، النحو العصري –دليل مبسَّط لقواعد اللغة العربية – ،مركز الأهرام ، ط1، 1995م، ص229.
[3] ينظر: نفسه ،ج29، ص195.
[4] الرماني ،معاني الحروف ،ص187.

5- إن : وهي من أهم حروف الشرط جازمة ، وذلك « أنها أُمُّ حروف الجزْم، وقد مُنِعَ أن يفصل بينها وبين ما يجزم»[1]، وتجلّت حجاجيّتها في خطاب فرعون الموجّه لموسى عليه السلام، حيث يقول تعالى:

{ قالَ إنْ كنت جِئْت بآيةٍ فاتِ بها إن كنت من الصَّادقين (105)} سورة الأعراف.

ما توضحه هذه الآية هو تحدي فرعون لموسى عليه السلام ليظهر له معجزته ويبيّن صدقه والقول الحجة يتمثل في (إن كنت جئت بآية) أما القول النتيجة (فات بها) ،وباعتبار "إنْ" من أهم حروف الشرط ساهمت في تقوية الحجة من خلال توجيهها مباشرة حتى يصل للنتيجة المرجوة وهي رؤية المعجزة ،والتوجيه الحجاجي هو التأكيد على رفض فرعون لصدق موسى عليه السلام. { إنَّك إنْ تذرْهم يُضلُّوا عبادك ولن يلِدوا إلاَّ فاجراً كفَّارا(29)}سورة نوح.

جاءت هذه الآية لتفسير سبب دعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والاستئصال وأن لا يبقي الله أحداً منهم على وجه الأرض.[2] واستعمال "إنْ" في هذا الموضع زادت القول الحجة" إن تذرهم " والمتمثل في فعل الشرط قوة إقناعية تستمدها من يقينه بحصول الضلال وهو نتيجة بقائهم ، والتوجيه الحجاجي الذي يبين السبب من توظيف هذه الأداة هو التأكيد على قبول الله دعوة نوح عليه السلام.

6- مهما : من أدوات الشرط وهي اسم مبهم لغير العاقل ، ومن ذلك كان خطاب موسى عليه السلام هو الممثل لهذه الأداة في قوله تعالى:

{ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (131) } سورة الأعراف.

جاءت هذه الآية كحجة لتبيّن مدى الطغيان والكفر والتمسك بهما على الرغم من كل الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام لعلّهم يؤمنون إلاَّ أنهم ازدادوا ضلالا وعنادا وباعتبار مهما اسم متضمن معنى الشرط وهي مبهمة قد جاء القول بعدها للتبيين وفك الإبهام بانتفاء إيمانهم، فقد « سمُّو ما جاء به موسى آية باعتبار الغرض الذي تحداهم به موسى حين الإتيان بها لأن موسى يأتيهم بها استدلالا على صدق رسالته ، وهم لا يعدُّونها آية ولكنهم جاروا موسى في التسمية بقرينة قولهم "لتسحرنا بها"، وفي ذلك استهزاء كما حكى الله عن مشركي أهل مكة وقالوا "يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون " بقرينة قولهم :إنك لمجنون»[3]. فقد ورد القول :"مهما تأتنا به من آية لتسحرنا

[1] الرماني ،معاني الحروف ،ص49.
[2] ينظر: نفسه ، ج29، ص213.
[3] محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير، ج9،ص(68،69).

بها " كحجة على البقاء في حال الكفر والتجبر وبالتالي تكون النتيجة عدم الإيمان من خلال قولهم "فما نحن لك بمؤمنين" فاسم الشرط "مهما" لغير العاقل وحجتهم دليل على عدم عقلا نيتهم فلو تدبروا في هذه الآيات لاتبعوه والتوجيه الحجاجي هو التأكيد على رفضهم القطع للإيمان .

7- من : وهي للعاقل ، وقد جاء خطاب إبراهيم عليه السلام حاملاً للمعنى الحجاجي لهذه الأداة الشرطية في قوله تعالى:

{وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتّعه قليلاً ثمَّ أضطرُّه إلى عذاب النار وبيسَ المصير(125) }سورة البقرة. المعنى العام لهذه الآية هو دعاء ابراهيم بأمن وأمان واستقرار البلاد وهذا ما يضمنه وفرتها على جميع الخيرات التي تخلف السعادة والرخاء لمن آمن في هذه البلد وحتى الكفار لهم المتاع القليل في الحياة لهذا قال تعال (فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار) وهذا هو الشاهد المتضمن معنى الشرط فهذه الآية تبين أن الله سبحانه وتعالى ليس بغافل عن الكافر بل إن متاعه قليل في الدنيا وجزاءه يوم القيامة سوء المصير فالحجة هي (من كفر) والنتيجة (فأمتعه) والاداة "من" ساهمت في توجيه الحجة مباشرة للكافر بصفته كائنا عاقلا قادرا على اتخاذ القرار بنفسه إمّا الإيمان أو الكفر ،واختياره لسبيل الكفر هو ما استحق عليه العذاب فكانت النتيجة المتاع القليل، وعليه فالتوجيه الحجاجي هو التراجع عن الرأي أو الموقف وذلك يكون بتغيير الكافر لوجهة نظره أو اعتقاده من خلال تدبره في الآيات التي في الكون ومعرفته بأنّ متاعه قليل في هذه الدنيا.

وممَّا سبق يمكن القول أنّ أسلوب الشرط يعدُّ سمة جوهرية للنص الحجاجي ، لأنَّه يشتمل على معان تفهم من سياقه التداولي ، تشحن بها أدواته والتي توجه الحجة المطروحة الوجهة التي يريدها المحاج فتزيد بذلك درجات الاستمالة بزيادة القوة الإقناعية وهذا ما لُمِس في خطابات الأنبياء السابقة ، وقد كان لأدوات الشرط الدور البارز في التشكيل اللغوي لخطابات أولي العزم من الرّسل في القرآن الكريم ، كما أنّ الأداتين (لو) و(لولا) هما الأكثر ورودًا في النماذج المحلّلة

ثالثا : الوصف

يشمل الوصف مجموعة من الأدوات اللغوية، والتي يستعملها المرسلُ في بناء خطابه الحجاجي ، ومنها: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول

ولأسلوب الوصف دور حجاجي يمكن استنتاجه من خلال تحليل خطابات أولي العزم من الرسل الآتية :

1/- الصفة :تمثل الصِّفة حجة للمرسل في خطابه والتي يستعين بها بهدف اقناع المرسل إليه ،ذلك لأنها« لفظ يتبع الاسم الموصوف تحلية له ،وتخصيصا ممن له مثل اسمه يذكر معنى في الموصوف ، أو في شيء من سببه ، ولا يكون الوصف إلاَّ من فعل أو راجعاً إلى معنى فعل»[1]، وبتحليل الخطابات الآتية يتبيّن الدور الحجاجي للصّفة التي ساهمت في التشكيل اللغوي لخطابات الرّسل:

{قال إنَّهُ يقول إنَّها بقرة صفراء فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين (68)} سورة البقرة.

جاءت هذه الآية كخطاب لسيدنا موسى عليه السلام بوحي من الله يبين فيها لقومه صفة البقرة ،فبقوله" صفراء" أزالت الكثير من التساؤلات لأن هناك ألوان عديدة للبقر، فجاء بهذا الوصف ليحاجج قومه على سبيل إقناعهم بتنفيذ أمر ربهم بذبحها ، والتوجيه الحجاجي هو التأكيد على لون البقرة وبذكر لونها تم إجلاء الغموض وتصحيح المفهوم لأن صفة هذه البقرة خاصة بها هي فقط ،

والصفة لها دور بارز في عملية الإيضاح والتوضيح من خلال وضعها في الموضع المناسب الذي يختاره المرسل مماً يدعم قوة طرحه فالصفة إذاً« من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج ، فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع».[2]

{قالوا لا تَوْجَلِ إناَّ نبشرك بغلامٍ عليم(53)}سورة الحجر.

[1] ابن جني، اللمع في العربية ، ص65.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص488.

جاءت كخطاب فيه بشرى لإبراهيم عليه السلام بغلام والذي وصف بأنه "عليم" ، فجاءت الصفة هنا كـأداة حجاجية توجه المتلقي الوجهة التي يريد الباث إقناعه بها في حجاجه[1] ، ففي هذا الخطاب كلمة "عليم "أظهرت بشكل واضح ما يتصف به هذا الغلام من العلم والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى عدم اليأس من رحمة الله من خلال التأكيد على البشرى بالغلام .

{أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (125)} سورة النحل.

وهي خطاب للنبي محمد ﷺ يبين له فيه الله طريقة الدعوة السليمة من خلال القول اللَّيّن الرَّقيق ، فالقول "الحسنة" هو صفة تحدِّد طبيعة الدعوة والمحاجة التي تكون بمراعاة الأحوال ، وعليه إذن يمكن القول إن هذا الوصف جاء ليبيّن بوضوح وجلاء طريقة المخاطبة ، وهذا ما « قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع ، فمن الموعظة حكمة ، ومنها خطابة ومنها جدل»[2]، وعليه فالتوجيه الحجاجي هو تصحيح مفهوم الدعوة وذلك بأنها تكون بالرفق واللين دون الإكراه والعنف.

{وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا(31)}سورة مريم.

وتمثل خطابا لسيدنا عيسى عليه السلام لقومه فجاء متضمِّنا الوصف في قوله "جبارا شقيا" ، فالشقي هو الخاسر وهو ضد السعيد ، فقد وصف الجبار بالشقي على اعتبار حاله ومصيره في الآخرة ، وهو بهذه الصفة يحاول هدايتهم إلى الصلاح وتوظيف أسلوب الوصف هنا إنما القصد منه هو توضيح الصورة الأصلية التي بعث من أجلها عيسى عليه السلام وهي الهداية لسبيل الرشد فقد وردت الصفة كأداة دالة على الفعل الحجاجي ذلك لأنها تظهر بجلاء وجهة نظر المرسل ومن هذا يفهم أن التوجيه الحجاجي تغيير وجهة نظر قومه لعلهم يهتدون إلى سبيل الحق .

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية -،ص487.
[2] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج14، ص327.

{إنّي لكم رسولٌ أمين(107)}سورة الشعراء.

وهي عبارة عن خطاب سيدنا نوح عليه السلام لقومه يبين فيه صفة ما أنزل عليه وهو الحق وأنه أمين في تبليغ رسالة ربّه، فكانت حجته لهم على إنكارهم لما جاء به هي اتصافه بالأمانة، فقد« كان نوح موسوما بالأمانة لا يتهم في قومه كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يلقَّب الأمين في قريش»[1] ، والتوجيه الحجاجي الذي يوضح السبب من توظيف الصفة هنا هو الدعوة إلى مواصلة تصديقه مادام متّصفًا بما يقرّون الأمانة فيه ، وعليه إذن فالغرض من ذلك الإقناع من خلال طرح الحجة التي هم على علم بها (اتصافه بالأمانة).

2/-اسم الفاعل : وهو من أساليب الوصف التي يوظفها المرسل في خطابه على اعتبار أنَّه حجة تمكنه من الوصول إلى النتيجة المرجوة ،من جهة أنه «اسم مشتق ،يدل على معنى مجرد حادث ،وعلى فاعله ، فلا بد أن يشتمل على أمرين معاً ؛هما : المعنى المجرد الحادث ، وفاعله... ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث ، أغلبية لأنه قد يدل - قليلا – عن المعنى الدائم او شبه الدائم ... ودلالته على ذلك المعنى المجرد مطلقة ،إلا إن وجدت قرينة تعين أحدهما دون الآخر»[2] ، وتجسّد اسم الفاعل في خطاب عيسى عليه السلام وأيضًا في خطاب موسى عليه السلام الموجّه لسيّدنا الخضر، يقول تعالى :

{جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كَفروا إلى يوم القيامة (54)} سورة آل عمران .

وهي خطاب من الله عزَّ وجل لسيدنا عيسى عليه السلام وقد ورد فيها اسم الفاعل "جـاعـل" وهو من الفعـل الثلاثي "جعـل"، وجاء ليبيّن موضع المؤمنين في الدنيا بالنسبة للكافرين وهو الفوقية ، وبهذا فسبحانه وتعالى لا يخبر بل يحاج بذكر أسلوب الوصف "جـاعـل"، والتوجيه الحجاجي فيه توضيح لمفهوم منزلة

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج19،ص158.
[2] حسن عباس، النحو الوافي ،ج3،ص(238،239).

المؤمنين يوم القيامة.

{قال ستجدني إنْ شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا(68)} سورة الكهف.

توضح هذه الآية ردَّ موسى عليه السلام على سيدنا الخضر عندما قال له (إنك لن تستطيع معي صبرا)، فقوله (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) يدلُّ إثبات سيدنا موسى قدرته على الصبر والاستمرار مع سيدنا الخضر، فجاء اسم الفاعل (صابرا) ليعبّر عن كل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ تنطبق على قائلها ، فطالب العلم يتوخى منه الصبر والطاعة للمعلم[1]، وعليه إذن فقد ساهم اسم الفاعل في تعزيز العملية الإقناعية والتي كفلت لسيدنا موسى الانتقال إلى مرحلة أخرى مكنته من اكتشاف شيء جديد وبالتالي فالتوجيه الحجاجي هو التأكيد على الصبر وتحمل مشاق الطريق المقبل عليه.

واستنادًا إلى ما سبق تحليله من الآيات يتم إثبات أن للوصف دورا فعَّالا في العملية الحجاجية ،فالمرسل يتقصد من استعماله توضيح وجهة نظره للمرسل إليه من أجل الإقناع ، وهذا ما يمنح طرحه قوة تأثيرية ، ومن بين كل الأساليب الدّالة على الوصف فقد كان للصفة واسم الفاعل الحضور الفعلي في الخطابات محل الدّراسة ، إلاّ أنّ الغالبية في التوظيف كانت من نصيب الصفة نظرًا لعملها على الإيضاح والتوضيح الذي يساعد المتلقي في فهم مقصدية المتكلّم، أمّا اسم الفاعل فإنّه يساعد في عملية توجيه النتيجة .

رابعا: الأفعال الكلامية (الإنجازية)

لقد اهتم الدارسون حديثا بالقول وعلاقته بالفعل في إطار الحجاج اللغوي، فجاءت نظرية الأفعال الكلامية لتجسد هذه العلاقة على اعتبار أنّ اللغة هي قوة فاعلة في

[1] ينظر : نفسه ،ج15، ص(372،373).

الواقع ومؤثرة فيه ، ومن ثمّ فالفعل الكلامي «ملفوظ ينهض على نظام شكل دلالي إنجازي تأثيري ، وفضلا عن ذلك ،يعدُّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...)، وغايات تأثيرية Actes perlocutiores تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)»[1] ؛ فالفعل الكلامي هو كل قول ينجز عملاً ما.

وقد صنف سيرل الأفعال اللغوية إلى:[2]

1/-الإخباريات(Assséritives):وهي الأفعال التي تقوم بنقل الواقع ووصفه وصفاً أميناً.

2/- الإعلانيات(Déclarations):وهو الذي يحدث تغيير في الوضع القائم .

3/- الالتزاميات(commissves):والغرض منها هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل.

4/- التعبيريات(Esprssives): من خلالها يعبر المتكلم عن حالته النفسية تجاه شيء معين ،أو شخص ما، أو فكرة ،أو موضوع.

5/- التوجيهيات(Directives):وهي التي يتوجه بها المتكلم إلى المتلقي كي يقوم بأداء عمل من الأعمال.

ويحاول المرسل توظيف أغلب أصناف الأفعال الكلامية وتوجيهها حجاجيا للتعبير عن وجهة نظره وتحديد موقفه« للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنَّها لم تعد صالحة ، كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه وكذلك لتأسيس النتيجة».[1]

---

[1] مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية لظاهرة <<الأفعال الكلامية>> في التراث اللساني العربي - ، دار الطليعة ،بيروت ،ط1،2005م،ص40.

[2] ينظر : علي محمد حجي الصراف، في البراغماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي -، مكتبة الأداب ، القاهرة ،ط1،(1431ه/2010م)،ص(205-214).

وكل صنف من أصناف الأفعال اللغوية التي حددها سيرل ، الصّحيح أنَّها تندرج ضمن الخطاب ،إلاَّ أنَّ دورها الحجاجي يختلف باختلاف الهدف من الخطاب ،إذ وُجد أنَّ بعضها ذو دور حجاجي ، أما الآخر فليس له ذلك الدور ، فالتي لها دور حجاجي على حد تعبير الشهري هي الأفعال الإلتزامية والتوجيهية ، وينضاف إلى هذه الأفعال أفعالا أخرى لها دور حجاجي واضح وهي الاستفهام والنفي.[2]

والقرآن الكريم بما أنَّهُ خطاب حجاجي فهو يزخر بعدد لا حصر له من الأفعال الكلامية والتي لها مقاصد حجاجية تحددها طبيعة الخطاب ، وبالتالي فالقرآن الكريم يعدُّ النموذج الأمثل لإثبات حُجِّيَّة الأفعال الكلامية ولا يمكن ذلك إلا بتحليل بعض النماذج من خطابات أولي العزم من الرسل :

{وإذا ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمّهُنَّ قال إنِّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين(123)} سورة البقرة.

وهي خطاب موجه من الله سبحانه وتعالى إلى ابراهيم عليه السلام يعده فيه بالإمامة ، وقد تضمن الخطاب فعلا كلاميا في القول (إنِّي جاعلك للناس إماما) الغرض منه الوعد بأن يكون قدوة للناس في الدين وفي ذلك نصرة لدعوة ابراهيم عليه السلام ، ومن هنا تظهر القيمة الحجاجية للغرض الإنجازي من خلال تنفيذ أوامر ربه ودليل ذلك قوله تعالى (وإذا ابتلى ربه بكلمات فأتمَّهنّ)، والتوجيه الحجاجي هو التأكيد على تحقيق الوعد.

{وإذ قال ابراهيم ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثمَّ أضطره إلى عذاب النار وبيس المصير(125)} سورة البقرة.

وتتضمن الآية فعلا كلاميًّا في قوله تعالى "ومن كفر فأمتعه قليلا ثمّ أضطرُّه إلى

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية - ، ص482.

[2] ينظر: نفسه ، ص(482-486).

عذاب النار وبيس المصير" والغرض الإنجازي منه هو الوعيد الذي يجده الكفار يوم القيامة، فقد صرَّح الله في هذا القول بالجزاء الذي ينتظر الكفار من العذاب وسوء المصير والقيمة الحجاجية لهذا الفعل اللغوي تكمن في لفت انتباه الكفار واستدراجهم لعل قلوبهم تلين إلى الإيمان من خلال ذكر مآلهم يوم القيامة وبالتالي فهناك توجيه حجاجي هو تخويف الناس وحثّهم ألاّ يكونوا من المعنيين بسوء العاقبة ، كما تضمّن هذا الخطاب الدعاء في قوله (ربّ اجعل) والتوجيه الحجاجي للدعاء هو حث النّاس على أن يكونوا مؤمنين حتّى تنالهم دعوة إبراهيم عليه السّلام.

{لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره إنِّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم(58)}سورة الأعراف.

وتمثل خطابا لسيدنا نوح عليه السلام لقومه يدعوهم فيه لعبادة الله وحده، فجاءت هذه الآية كفعل كلامي توجيهي الغرض منه النصح والإرشاد، ويحمل في طيَّاته قصد حجاجي اقناعي من خلال « إبطاله للحالة التي كانوا عليها، وهي تحتمل أن تكون حالة شرك كحالة العرب، وتحتمل أن تكون حالة وثنية باقتصار هم على عبادة الأصنام دون الله تعالى»[1]، والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى الإيمان وعبادة الله وحده.

{قال ربِّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (151)} سورة الأعراف.

تشير إلى دعاء موسى عليه السلام له ولأخيه بطلب المغفرة من الله ،و تحمل فعلا إنجازيا الغرض منه الدعاء من أجل الحصول على المغفرة ونيل رحمة الله فقد تضمن توجيه حجاجي هو التأكيد على قبول الدعاء من خلال حصول المغفرة ونيل مبتغاه في إجابة دعاءه.

{ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربَّنا وتقبل دعاء(42)} سورة ابراهيم.

حملت هذه الآية فعلا إنجازيا الغرض منه هو الدعاء ، فقد وجه إبراهيم عليه السلام دعاءه إلى الله سبحانه وتعالى بخضوع وتضرع وكله أمل في استجابة دعاءه، والتوجيه الحجاجي الذي يحمله هذا الخطاب هو التأكيد على قبول الدعاء .

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج8ب، ص188.

{ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أنْ يبعثك ربُّك مقاما محموداً(79)} سورة الإسراء.

ورد في هذه الآية فعلا كلاميا في القول "عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً" الغرض االإنجازي منه الوعد ، فقد وعد الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ بالمقام المحمود ، وفي ذلك قصد حجاجي بالتزام الله سبحانه وتعالى بتحقيق وعده، والتوجيه الحجاجي المتضمن في هذا الخطاب هو التأكيد على إكرام النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام المحمود.

{ فناداها من تحتها ألاَّ تحْزني قد جعَل ربُّك مِنْ تحتك سريا (24)} سورة مريم.

جاء في هذه الآية النهي كفعل كلامي محققا غرضا إنجازيا وهو التصبر ؛ فمريم عليها السلام عندما جاءها ألم الولادة تمنت الموت فصبّرها عيسى عليه السلام بقوله "ألاَّ تحزني" من أجل أن يخفف من حزنها، وعليه فالتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى الصبر.

{إذْ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا(42)} سورة مريم.

وهي خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر وجاء في شكل استفهام من أجل تحقيق غرض إنجازي وهو النصح، والاستفهام ذا قصد حجاجي عندما يكون غير مباشر، فالأسئلة هي من أكثر الوسائل إقناعا للمرسل إليه، وعليه فالاستفهام يعدُّ من أنجع الأفعال اللغوية حجاجا[1]، والتوجيه الحجاجي الذي يبين السبب من توظيف الاستفهام هنا جاء للتراجع عن الرأي وأيضا لتغيير وجهة نظر ؛ فإبراهيم عليه السلام دعا أباه

للخير بكل الطرق لعل قلبه يلين ويغير رأيه لكنه لم يفعل ذلك .

{ قال لئن اتَّخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين (28)} سورة الشعراء.

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية - ، ص(483،486).

ورد في هذه الآية فعلا لغويا هو الوعيد و الغرض منه هو التخويف ، فقد قام فرعون بتهديد موسى عليه السلام عندما« لم يجد لحجاجه نجاحا ورأى شكيمة موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها، وهذا شأن من قهرته الحجة ، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد»[1]، وهذا الخطاب فيه توجيه حجاجي لتراجع موسى عن قضيته في الدعوة وذلك من خلال تهديد فرعون له.

{ قال لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين(116)} سورة الشعراء.

تضمنت هذه الآية فعلا كلاميا الغرض منه الإنذار والوعيد ، فقد هُدِّد نوح من طرف قومه بالرَّجم والذي يكون بالحجارة إن لم ينته عن دعوته، والتوجيه الحجاجي هوالتأكيد على رفض القوم لرسالة نوح عليه السلام وانعدام إيمانهم به .

وخلاصة ما سبق هي أنَّ للفعل الكلامي أغراضا حجاجية تضطلع في الخطاب ، فالقوة الإنجازية للفعل اللغوي هي التي تحدد قيمته الحجاجية من خلال نجاحها في إحداث التأثير في المتلقي.

خامسا: الحجاج بالتبادل

ما تتميز به هاته الآلية الحجاجية هو سعيها للإقناع من جهة أنَّ المرسل يستعملها في خطابه ، فهو « يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين ، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات».[2]

وهذه الآلية الحجاجية قد وردت في خطابات أولي العزم من الرسل ، ولبيان الغاية الحجاجية التي يريد المرسل تحقيقها من خلال توظيفه للتبادل سيتم تحليل الخطابات الآتية:

{وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله(82)} سورة الأنعام.

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص121.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية - ، ص486.

وهي خطاب موجه من إبراهيم عليه السلام لقومه وقد تضمن قاعدة العدل التي يكون الغرض منها الإقناع ، فكيف يخاف هو من الأصنام التي يعبدونها مادام أنهم لا يخافون من الله والحق أن يخافوه، فإن كانوا لا يخافون من الله فهو أيضا لن يخاف من أوثانهم التي هي مجرد حجارة وعلى الرغم من كل هذا فإبراهيم عليه السلام كان يسعى إلى إقناعهم بتقديم النصائح إليهم وبتطبيق مبدأ المساواة، وعليه فالتوجيه الحجاجي هو التأكيد على رفض إبراهيم عليه السلام الخوف من آلهة قومه .

{قال إن تسخروا منَّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون'38)} سورة هود.

تمثل رد نوح عليه السلام على قومه عندما مرُّوا عليه ساخرين من صنعه للسفينة ، وقد طبّق في هذا الخطاب مبدأ التساوي فأنتم كما سخرتم منّا نحن أيضا سنسخر منكم، والسبب من توظيف هذه الآلية يوضحه التوجيه الحجاجي المتمثل في الدعوة بطريقة غي مباشرة للكف عن السخرية.

{قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا(95)} سورة الإسراء. نزلت على الرسول ﷺ عندما استفسر قومه عن عدم نزول الرسول على هيئة ملك من السماء ، فجاء الرد الإلهي عليهم بهذه الآية ؛ فما دام أنكم لستم ملائكة على الأرض لن يكون الرسول ملكا ولو كنتم كذلك لكان الرسول كما أردتم،

والتوجيه الحجاجي يتمثل في تصحيح مفهوم عدم إرسال الرسول على هيئة ملك. وعليه إذن يكون للتبادل دورا حجاجيا واضحا من جهة أن المرسل يوظفه بتطبيق مبدأ المساواة قصد تحقيق الإقناع بجدوى ما يذهب إليه.

خلاصة الفصل

وختاما فالقرآن الكريم في نظامه ولغته خطابٌ محكم معجز ينطوي على أساليب لغوية مختلفة أعانت على إثبات حجيته وغايته الإقناعية ، فكلٌ من ألفاظ التعليل والشرط والوصف والأفعال اللغوية(الإنجازية) والتبادل لها غرض وظفت من أجل تحقيقه ؛فألفاظ التعليل وظفت لتبيان السبب مما قد يجعل المرسل يقدم حججا منطقية تدعم نجاح العملية الحجاجية، والشرط يكون الهدف منه هو توضيح العلاقة الدلالية المنطقية الرابطة من خلال الأداة التي تقوم بتقوية سياق الحجة ، أما الوصف فما يميزه أنه يساعد على توضيح المعنى ، والغاية من توظيف الفعل الكلامي تكون من أجل تحقيق الفعل المنجز ، أما عن التبادل فهو الذي يسعى لتطبيق مبدأ التساوي وأهم ما يميزه أنه يستعمله المرسل في تقديم النصائح لإقناع المرسل إليه وعليه فكل من الآليات المذكورة سابقا ساهمت في

التشكيل الحجاجي اللغوي لخطابات أولي العزم من الرّسل ومنه يكون هناك إثراء للعملية الحجاجية وبالتالي قوة الخطاب من جهة الإقناع والتأثير ، والأكيد أن مبدأ الاختيار ووضع كل آلية الموضع المناسب هو الذي يمنح الخطاب الفاعلية التأثيرية وهذا ما لوحظ على خطابات أولي العزم من الرسل فكل آلية تم اختيارها بما يتوافق والسياق الخطابي، كما تجب الإشارة أيضا إلى التفاوت الذي لوحظ على الخطابات في توظيف الآليات فمثلاً عيسى عليه السلام كانت خطاباته أقل احتواء للآليات الحجاجية اللغوية مقارنة بخطابات باقي الرسل.

الفصل الثاني: التشكيل الحجاجي للغة من حيث العوامل الحجاجية والرّوابط الحجاجية

إنَّ النظرية اللسانية في جوهرها تقوم على بعض الآليات اللغوية التي تساعد في التحليل الحجاجي التداولي للخطاب وذلك نظرا لمركزيَّتها في توجيه الخطاب وفق مقاصد المتكلمين ، بالإضافة إلى الانسجام الذي تحدثه داخل النص. وهذه المؤشرات تتمركز أساسا في أبنية اللغة ، وهي على نوعين:

الأول : العوامل الحجاجية وتشمل بعض الأدوات نحو: أدوات القصر والنفي والاستثناء...

أما الثاني: فهو الروابط الحجاجية والتي تضم أدوات من قبيل: لكن، بل، حتى ، الواو...

واللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية ، والتي كما قال أبو بكر العزاوي: «لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية »[115]وعليه فالأثر الذي تحدثه هذه الأدوات يتمثل في القيمة الحجاجية وهذه الأخيرة نجدها متباينة بحسب نوعية الرابط أو العامل الحجاجي .

وفي هذا الفصل سيتم التركيز عل أهم الروابط والعوامل الحجاجية الواردة في الخطاب القرآني وبالضبط خطابات أولي العزم من الرسل.

أولا : العوامل الحجاجية

تعد العوامل الحجاجية من أهم الوسائل اللغوية التي يسعى المرسل من خلالها إلى توجيه خطابه وجهة حجاجية ما لإقناع المرسل إليه بجدوى النتيجة التي يروم تحقيقها ، فهي إذن «تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما»[116] أي أنَّها تعمل على تقليص الإمكانات الحجاجية للكلام وهذا مايزيد من قوة التوجيه المباشر نحو النتيجة المرجوة .

والعوامل الحجاجية في طبيعتها عبارة عن: «عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر ، والنفي ، والشرط...ووظيفتها

[115] أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص26.
[116] أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص27.

هي حصر الإمكانات الحجاجية potentialités لمحتوى الملفوظات وتحويلها مثل صيغ peu/presque في اللغة الفرنسية»[117] ؛إذن فالعامل الحجاجي له وظيفتين فرعيتين هما الحصر والتحويل واللتان تتكاملان مع بعضهما لتحقيق الوظيفة الأسمى وهي (الوظيفة الحجاجية).

وباعتبار العوامل الحجاجية عناصر لغوية فهي تمتلك «غاية واحدة وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل »[118]

ووصلاً بما سبق يمكن تلخيص أهم العوامل الحجاجية التي توجه الحجة نحو النتيجة المراد الوصول إليها في :عاملية النفي (لن ،لم ،لا، ما...)، وعاملية الادوات القصر والاستثناء(إنما ، ما...إلا...)، وعاملية الشرط بأدواته المعروفة مثل(إذا ،إن...).

وفي هذا المقام سيتم التركيز على عاملية النفي والقصر والاستثناء فقط لأنها الأكثر ورودا في الخطابات موضع الدراسة.

1) عاملية النّفي

يعتبر النفي عاملا حجاجيا يوظفه المتكلم في خطابه لتحقيق الإقناع ، وبالتالي إذعان المتلقي وتسليمه بما طُرح عليه ومن هنا يكون الوصول للنتيجة .

والنفي في الدرس النحوي كما يقول بن يعيش(643هـ)«اعلم أنَّ النّفي إنَّما يكون على حسب الإيجاب لأنَّه إكذابٌ له فينبغي أن يكون على وِفْق لفظه لا فرق بينهما إلاّ أن أحدهما نفي والآخر إيجاب وحروف النفي ستة ما ولا ولم ولما ولن وإن»[119]

وأهم ما في هذا التعريف هو اعتبار النفي "إكذاب " وبعدِّه "إكذاباً" يكون هناك توجيه للقول المتلفظ به والمتلقي نحو النتيجة التي يجب التصديق بها من طرف المتلقي ، وعليه تكون النتيجة هي المحور لأنَّ «عاملية النفي الحجاجية حينئذٍ

[117] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة،ص100.
[118] عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ،تونس ،ط1، 2011،ص21.
[119] ابن يعيش، شرح المفصل ،ج8،ص107.

لا يمكن إدراكها إلاَّ بإدراك النتيجة التي يريد الباث توجيه جمهوره إليها»[120]،فالنفي هو مؤشر تلفظي وعند إدراجه في سياق الكلام سيعمل على تحديد النتيجة بسرعة ودقة ، ومنه يكون «النفي عامل حجاجي يحقق به الباث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ غلى النتيجة" ن"»[121]، وعليه تكون الغاية من توظيف النفي توجيه النتيجة التي يشير إليها الملفوظ بسرعة وبذلك لا يجد المتلقي أيَّ تعبٍ في التفكير لفهم المقصود ومثال ذلك كأن تقول لأحدهم "أنا لا أخون" والنتيجة هي إثبات أنّض الطرف الآخر "خائن".

والملاحظ أنَّ الخطاب القرآني قد جاء بأساليب النّفي في مواضع كثيرة بما يتوافق وسياق التخاطب للعملية الحجاجية وكل هذا في سبيل الدعوة لطريق الحق،وقد أخذت خطابات أولي العزم من الرسل نصيبها من عاملية النفي حتى تتحقق الغاية التوجيهية لهذا الخطاب ، وبالتالي تفعَّل الوظيفة الحجاجية التي سنثبتها من خلال تحليل بعض النماذج من خطابات الرّسل .

أ- النّفي بـ (لا): وتجلّى في الخطابات الآتية:

{وإذْ ابتلى إبراهيم ربَّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ قال إنّي جَاعِلُك للنَّاس إماما قال ومن ذريَّتي قال لا ينَال عهْدِيَ الظَّالِمين(123)} سورة البقرة.

تضمّنت هذه الآية نفيا حجاجياً في قوله تعالى "لا ينال عهدي الظَّالمين"، إذْ نفى سبحانه وتعالى عهد الإمامة الذي بشَّر به إبراهيم عليه السلام على الظالمين من قومه ، وتكون الحجة المقدمة بقول النفي موجهة إلى التأكيد بعدم نيل الظالمين لعهد الله ، أي أنَّ المؤمنين المتَّقين هُمُ الأحقُّ بذلك العهد.

{ ولا أقول لَكُمْ عِنْدي خَزَائِنُ الله ولا أعْلَم الغَيْبَ ولا أقولُ إنّي ملكٌ ولا أقولُ للذين

[120] عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربية،ص50.
[121] نفسه، ص47.

تَزْدَري أعْيُنُكُم لن يؤتيَّهم الله خيراً الله أعلمُ بما في أَنْفُسِهِم إنِّي إذاً لمِن الظَّالمين (31) } سورة هود.

شكلت هذه الآية الكريمة سلسلة من أسلوب النّفي ، فقد عمَد نوحٌ عليه السلام في خطابه إلى توظيف هذا العامل من أجل إثبات حقيقة أمره بأنَّه هو رسول من عند الله يوحى إليه ، لكن قومه قد نفوا نبوَّته وحجتهم في ذلك «أنَّهم لم يروا فضلا عليهم، فجاء هو في جابهم بالقول بالموجَب أنَّه لم يدع فضلا غير الوحي إليه ولذلك نفى أنْ يكون قد ادَّعى غير ذلك»[122]، وكل الحجج المقدَّمة والمدعَّمة بأسلوب النَّفي تخدم نتيجة واحدة وهي (التصديق والإيمان) ، فالعامل اللُّغوي النَّفي في هذا الخطاب قد أقام الحقيقة المشار إليها من طرف القوم وإثبات ضدّها، بأنَّه لا يملكُ خزائِن الله ولا يعلمُ الغيب وما هو إلاَّ بشر مثلهم وهذا لأنَّ الغاية الأساس منَ النَّفي هي التَّكذيب والإكْذَاب، وباكتِمَال الوظِيفة الحجاجية للنفي يتم توجيه المقصود مباشرة للمتلقي حتى لا يتكبّد عناء ادْرَاكهِ، ومنه فالتوجيه الحجاجي الذي أراد نوح عليه السلام ترسيخه هو تأكيد صفة الإنسانية فيه لذلك قال (إنِّي إذاً لمن الظالمين) ، فبنفيه لكُلِّ ما زعمه قومه نفى معه كونه من الظالمين إن لم يكن صادقا معه.

{قال سَتَجدني إنْ شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا (68)} سورة الكهف.

يمثل هذا الخطاب ردًّا من موسى عليه السلام على الخضر عندما قال له(إنَّك لنْ تَسْتطيع معي صبرًا) ، فجاء حاملاً لأهم السِّمات الواجب على طالب العلم الالتزام بها وهي الصَّبْر والطَّاعة وفي ذلك كلّه تأدّب مع المعلّم الذي يسعى لجعل متعلّميه في أرقى درجات العلم ، ومنه فقد تضمَّن الخطاب نفياً حجاجياً في قوله :

(ولا أعصي لك أمرا) يقتضي نفي اعتقاد المخاطب ، لأنَّ الخضر خشي أن يلقى من موسى عليه السلام النّفور ؛أي أنَّ النَّفي الذي قدَّمه موسى عليه السلام أبطل

[122] نفسه،ج12،ص57.

اعتقاد الخضر وذلك من خلال توجيه النتيجة المتضمنة مايلي (الالتزام بالطَّاعة والصَّبر)، والغاية من ذلك دفع المتلقي إلى العمل ليحْصُل العلم والتعلُّم ببيان الأمور وتوضيحها من خلال التفسير وتقديم الشواهد ، فموسى قد تعلم الكثير من الخضر بالشَّاهِد العيني.

ب- النّفي بـ (لن): وتجسّدت العاملية الحجاجيّة لهذه الأداة في خطاب موسى عليه السلام الآتي :

{وإذْ قُـلتُم يا مُوسَى لَنْ نُّومِن لكَ حتَّى نَرى الله جَهْرَةً فأخَذَتْكُم الصَّاعِقة وأنْتُم تَنْظُرُون (54)}سورة البقرة.

هذه الآية الكريمة توضّح الجدال العقيم من بني اسرائيل لموسى عليه السلام ، إذْ اشترطوا مقابل إيمانهم أن يروا الله سبحانه وتعالى ، وما في ذلك إلاَّ تشكيكٌ في صدق موسى عليه السلام وهذا يدلُّ على مكابرتهم ، فرغم كلِّ المعجزات التي جاء بها موسى والنِّعم التي أعطاها لهم الله لكنّهم فوق ذلك طلبوا أنْ يروا الله جهرةً وإنْ لم يروه فلن يصدِّقوا دعوة موسى عليه السلام، وقد تضمنت هذه الآية النفي في قوله "لن نومن لك حتى نرى الله جهرة"، والمعنى الذي يفهم من قولهم بالنَّفي يقوم على احتمالين كما قال الطاهر بن عاشور «يُحْتمل أنَّهم توقعوا الكفر إنْ لم يروا الله تعالى أي أنَّهم يرتدُّون في المستقبل عن إيمانهم الذي اتصفوا به من قبل ، ويحتمل أهم أرادوا الإيمان الكامل الذي دليله المشاهدة أي أن أحد هذين الإيمانين ينتفى إن لم يروا الله جهرة لأنَّ (لن) لنفي المستقبل»[123]، وبهذا فقد نفوا صفة الإيمان على أنفسهم إنْ لم يتحقَّق شرطهم المذكور آنفاً ومنه فالقول الحجة "لن نومن لك حتى نرى الله جهرة" تتطلب نتيجة مفادها(انتفاء الإيمان) ، وعليه يكون التوجيه الحجاجي المستنتج كالتالي (التأكيد على عدم الإيمان إلاَّ بمشاهدة

[123] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص506.

الله)، وهذا يقود إلى العكس بأنَّه هناك مؤمنين بقلوبهم يشعرون بالله مصدِّقين بحقيقة الوجود.

ت- النّفي بـ (ليس): قد جاء خطاب نوح عليه السلام حاملاً لهذه العاملية، يقول تعالى:

{ قال يا قومِ ليس بي ضلالة ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمين(60)} سورة الأعراف

تمثل هذه الآية جواب نوح عليه السلام لقومه عندما قالوا له في الآية التي قبلها (إنَّا لنَراك في ضلالٍ مُبين) ، فجاء خطابه موجَّهاً للقوم كلُّهم دون أن يكون مقتصرًا على الفئة المجادلة فهو بُعث لتبليغ رسالة عامَّة، والآية محلَّ النظر اشتملت على نفي حجاجي في قوله (ليس بي ضلالة) وهذا القول المنفي يتخطى حدود الإخبار والإعلام إلى الإقناع ؛ ذلك لأنَّه يعدّ حجة مقدّمة في صيغة جواب حامل لمؤشِّر النَّفي ليبيّن صدق رسالته من أجل توجيه الجمهور المتلقي وهم القوم إلى النتيجة التي مؤدَّاها(الإيمان بوحدانية الله والتصديق بالرسالة) ، وعليه إذن فالتوجيه الحجاجي هو إثبات صدقه، وقد يكون من أجل تصحيح رأي المخالفين.

ث- النّفي بـ (ما): وكان ظاهرًا في الخطابات الآتية:

{ وقَالُوا مَهْما تأتنا به منْ آية لتسْحَرنا بها فمَا نحنُ لك بمُؤْمِنين (131)}سورة الأعراف.

جاء هذا النص القرآني كخطاب موجَّه لموسى عليه السلام من قومه ، والشاهد موضع الاهتمام فيه هو القول (فما نحن لك بمؤمنين)الذي يحمل دلالة قطعية لا رجوع عنها وهي انتفاء إيمان قوم موسى به، وقد عكس العامل الحجاجي (ما) هذه الحالة المتنامية حول طغيانهم وتجبُّرهم لأنَّهم قد «جاءوا في كلامهم بما حوته الجملة الإسمية التي حكَتْهُ من الدلالة على ثبوت هذا الانتفاء ودوامه وبما تفيده الباء من توكيد النَّفي، وما يفيده توكيد متعلّق مؤمنين من اهتمامهم بموسى

في تعليق الإيمان به المنفي باسمه»[124]، بالإضافة إلى أنَّ هذا العامل يوجه المتلقي نحو النتيجة التي مفادها(استحالة الإيمان)وبالتالي الكفر، ومنه يكون التوجيه الحجاجي الذي يشير إليه الملفوظ الحجة (فما نحن لك بمؤمنين) هو التأكيد على المعـاندة وعدم الاهتداء .

{طه ما أنْزلنا عليْـكَ القُرآن لتَشْقَى(01)} سورة طه.

وُجِّه الخطاب في الآية المباركة لمحمد ﷺ من أجل بعث الطمأنينة في قلبه وهي النّتيجة المضمرة من هذا القول والتي عمل النَّفي الحجاجي على إيصالها لحمل المتلقي على الالتزام بالعمل، فالنفي الحجاجي صادر من الجهة العليا المتمثلة في الخالق سبحانه وتعالى وموجه للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام وما على هذا المتلقي إلاَّ الالتزام بتأدية الأمانة التي وُكِّلت إليه على أكمل وجه ومنه ايصال الغاية من القرآن في أنَّه للتدبُّر والتَّعلم ولم يكن للشقاوة في هذه الدنيا ، فالله عزَّ وجل نفى في هذا المقام أن يكون الغرض من إنزال القرآن التعب ،ومنه فـ «وقوع فعـل "أنزلنا" في سياق النّفي يقتضي عموم مدلوله لأنَّ الفعل في سياق النّفي بمثابة النكرة في سياقه ، وعموم الفعل يستلزم عموم متعلقاته من مفعول ومجرور فيعمُّ نفي جميع كلّ إنزال للقرآن فيه شقاء له ، ونفي كلّ شقاء يتعـلق بذلك الإنزال ، أي جميع أنواع الشقاء فلا يكون إنزال القرآن سبباً في شيء من شقاء الرسول ﷺ»[125]، وعليه فالتوجيه الحجاجي الذي أراد النفي تحقيقه هو (التأكيد على عدم حصول المشقة بنزول القرآن).

ج- النّفي بـ (لم): وكان ذلك في خطاب عيسى عليه السلام الموجّه إلى قومه في قوله تعالى:

{ولـمْ يجعلني جبَّارًا شقِيًّا(31)} سورة مريم.

[124] محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير، ج9،ص69.
[125] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ج16، ص (184،185).

الملاحظ على الآية الكريمة احتوائها على نفي حجاجي الهدف منه ابطال كل التُّهم المسَلَّطة على مريم عليها السلام من جهة قومها، فجاء عامل النفي في هذا المقام لأداء غاية التكذيب والإكذاب ومنه انتفاء اعتقادات القوم وفي ذلك إثبات للحقيقة التي بُعِث من أجلها عيسى عليه السلام، فهو رسول من عند الله لتبليغ الرسالة فنفى في هذا الخطاب التجبُّر والشقاوة على نفسه ردًّا عليهم ومن أجل توجيههم مباشرة نحو نتيجة ثابتة هي (إثبات صدق عيسى عليه السلام وطهارة مريم وبراءتها) وعليه إذن فالتوجيه الحجاجي هنا هو التأكيد على نبوءته.

وممَّا تقدم ذكره يمكن القول إنَّ عاملية النّفي الحجاجية لا يمكن إدراكها إلاَّ بإدراك النتيجة التي يريد المتكلم توجيه جمهوره إليها ، ولهذا فقد كان ركناً أساسياً في إثبات حجاجية خطابات أولي العزم من الرسل لأنَّه وبمجرد إدماج هذا العامل في سياق الكلام تتحدد النتيجة بسرعة ، ومنه فالقيمة الحقيقية لهذا المؤشر اللغوي لا تتحدد بوظيفته التوجيهية للخطاب وحسب، بل تتعدّاها إلى البنية العميقة للملفوظ ، أمّا بالنسبة للعامل الأكثر توظيفًا هو عامل النّفي بالأداة (لا).

2) عاملية أدوات القصر والاستثناء

يعدُّ كلٌّ من أسلوب القصر والاستثناء من المؤشرات اللغوية التي إذا تمّ إعمالها في الخطاب فإنَّها تؤدي وظيفة حجاجية أي تعمق التوجيه الحجاجي وتقويه ، ومن هذه الأدوات : القصر بـ "إنَّما"، والقصر بـ "ال الموصولية"، وضمير الفصل والنفي والاستثناء.

أ- عاملية القصربـ: إنَّما:

"إنَّما " هي من الأداوات الدالة على القصر ولعلَّ «السبب في إفادة إنّما معنى القصر ، هو تضمينه معنى ما وإلاَّ»[126]، وقد خصَّها عبد القاهر الجرجاني في دلائل

[126] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية - ، ص520.

الإعجاز بالتعريف إذ يقول «اعلم أنَّها تفيد في الكلام بعدها ايجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره ، فإذا قلت :"إنَّما جاءني زيدٌ" ، عُقل منه أنَّك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك : "جاءني زيدٌ لا عمرو"، إلاَّ أنَّها مزيَّة، وهي أنّك تعْقِل معها إيجاب الفعل لشيءٍ ونفيه عن غيره دفعةً واحدةً في حالٍ واحدةٍ وليس كذلك الأمر في :"جاءني زيدٌ لا عمرو"، فإنَّك تعقلهما في حالين ومزية ثانية، وهي أنها تجعل الأمر ظاهرا في أنَّ الجائي "زيد" ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام بـ (لا) فقلت "جاءني زيدٌ لا عمرو"»[127]، ما يفهم من هذا التعريف أن الأداة "إنَّما" إذا دخلت على الجملة تقوم بتوجيه الملفوظ نحو النتيجة التي أراد المتكلم ايصالها للمتلقي الذي يتوهم أن عمرو هو الجائي لذلك قال «فإذا قلت :"إنَّما جاءني زيدٌ" ، لم يكن غرضك أن تنفي أن يكون قد جاء مع "زيد" غيره، ولكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي قلْت إنه كان منه، كان من "عمرو"، وكذلك تكون الشبهة مرتفعة في أن ليس هاهنا جائيان، وأن ليس إلاَّ جاءٍ واحد ... فإذا قلت : " إنَّما جاءني زيدٌ" حققت الأمر في أنَّه "زيد"»[128]، والقصر بالأداة(إنَّما) يحصر ويوجه الإمكانات الحجاجية للملفوظ وهو ليس قصرًا حقيقيا لأنَّه قصر قلب يوظف في الكلام ليخاطب به مخاطباً مصرًّا على الخطأ[129] ، فهي تكون في موضع يعلمه المخاطَب لذلك قال: «اعْلم أنّ موضوع (إنَّما) على أن تجِيء لخبرٍ لا يجْهلُه المخاطَب و لا يَدْفع صِحَّتهُ، أو لما يُنزَّل هذه المنزلة تفسير ذلك أنَّك تقول للرجل : (إنَّما هُو أخُوك) و(إنَّما هو صَاحِبك القديم) : لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحَّته، ولكن لمن يعلمه ويقرُّ به إلاَّ أنَّك تريد أن تنبه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب »[130]، فهو من

[127] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: محمود محمد شاكر ، دط ، دت، ص335.
[128] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص336.
[129] ينظر : عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص55.
[130] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص330.

خلال إدخاله لأداة القصر (إنَّما)قام بالتنبيه لضرورة أداء واجبات الأخوة والصداقة

أمَّا السكّاكي فجاء بمفهوم آخر إذ يقول: « وإذا عرفت هذا في النفي والا ستثناء ، فاعرفه بعينه في (إنّما) لا تصنع شيئا غير ما أذكره لك، وامض في الحكم غير مدافع، نزل القيد الأخير من الكلام الواقع بعد (إنّما) منزلة المستثنى ، فقدر نحو: إنّما يضرب زيد ، تقدير : ما يُضَرب إلاَّ زيد، ونحو : إنّما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة، تقدير ما يضرب زيد عمرًا إلاَّ يوم الجمعة ... وكذلك إذا قلت : إنّما زيد يضرب، فقدره تقدير : ما زيد إلاَّ يضرب »[131]، وبهذا التعريف يجعلها مرادفة لمعنى (ما...إلاّ) .

والأداة إنّما على أنّها أداة قصر إذا حضرت في الكلام تميز بطابعه الحجاجي ، لكن بغيابها يكون الكلام إعلامي إخباري يفتقر للنشاط الحجاجي، واستنادا لما سبق فهذا العامل الحجاجي يأتي وجوبا لإثبات ما بعده بحصره ومن ثم تقديمه ،حيث يتحول الخطاب غلى بنية لغوية مقيدة ومحددة محصورة في دلالة ثابتة مقصودة من ذات المرسل الذي يروم توجيهها للمتلقي لتحقيق الإقناع، وعليه إذن سيتم تحليل بعض الشواهد الواردة في الخطابات موضع الدراسة مع تبيين ما يثبت ذلك.

{قل إنَّما أتّبع ما يوحى إليَّ من ربّي هذا بصائر من ربّكم وهدًى ورحمة لقومٍ يومنون (203)}سورة الأعراف.

يتمثل هذا الخطاب في الجواب الذي أمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريم عليه الصلاة والسلام أن يجيب به مشركي قريش الذين كانوا «إذا تأخر الوحي يقولون للنبي هلا أتيت بقرآن من عندك يريدون التهكُّم »[132]، وقد وردت أداة القصر إنّما لأداء وظيفة حجاجية يضطلع بها هذا الخطاب ، وبتوظيفها تم الانتقال إلى إثبات

[131] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، (1403ه/1983م)،ص(300،299).
[132] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج9، ص 237.

النتيجة القائلة (لا يتبع الرسول إلا ما يوحى إليه بأمر ربه)، وكل نبي من الأنبياء عليهم السلام كان الله قد جعل له من الآيات بما يتوافق والزمان والمكان وكانت المعجزة التي تحدى الله بها مشركي قريش هي القرآن الموحى به على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنه إذن فالعامل الحجاجي (إنّما) جاء لإثبات الحقيقة التي يعلمها المخاطَب وهم أهل قرش، فهم على يقين تام أن هذا الكلام معجز مبهر لكن لسخافتهم يتجاهلون ذلك واتهموا الرسول بالجنون ، وعليه فداعي توظيف عامل القصر (إنّما)هو (التذكير بوجوب اتباع الرسول للوحي وعدم الحياد عنه)ومن هذا يستنتج التوجيه الخاص بعملية المحاجة في هذا المقام المتمثل في(التنبيه إلى ما حصل للأمم السابقة عند طلبهم للآيات من الرسل الذين بعثوا فيهم وكفروا بها).

{قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (32)قال إنّما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (33)} سورة هود.

جاء العامل الحجاجي (إنّما) في هذه الآية ليؤدي دوراً فاعلاً ومؤثراً وذلك من خلال إثبات حقيقة وجود الله لأنّ قوم نوح كانوا يشكّكون في هذا الأمر، فهم قالوا له أحضر لنا ما وعدتنا به وهذا أكبر دليل على عدم تصديقهم بوجود الذات الإلاهية ، فقال مجيباً لهم(إنّما يأتيكم به الله إن شاء) وهنا قد خصص وحصر حصول كل شيء لا يكون إلاَّ بمشيئة الله وحده، فهو غن شاء جاءكم بما وعدكم وإن لم يشأ لن يحصل ما طلبتم مطلقاً، ومنه كان حصول الشيء مقصور على الله والقصر في هذا الخطاب هو «قصر قلب بناء على ظاهر طلبهم حملاً لكلامهم على ظاهره على طريقة مجاراة الخصم في المناظرة»[133] ، ووصلا بما سبق فالصرفم (إنّما) قد جعل القول (إنّما يأتيكم به الله إن شاء) محصور في شيئين هما:

[133] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص61.

1/- حقيقة وجود الله.

2/-كل شيء يكون بمشيئة الله.

وهذا ما جعل الأداة (إنّما) ذات دور حجاجي من خلال إثبات حقيقة أهم شيء قائم عليه هذا الكون وهو القدرة الإلاهية، والتوجيه الحجاجي الذي يشير إليه هذا الخطاب هو(التنبيه إلى قياد أمر ما يعدهم به بيد الله وحده).

{قل إنّما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصُّمُّ الدعاءَ إذا ما ينذرون (45)} سورة الأنبياء.

حُصرت الدلالة التي ترمي إليها هذه الآية في الإنذار بما يحلُّ بالمشركين في الدنيا والآخرة، وهذا الإنذار يكون عن طريق الوحي المنزل من الله على نبيه ﷺ وهو القرآن الكريم الذي يعدُّ الآية أو المعجزة التي تحدّاهم الله بها، لأنّ القوم طلبوا آيات وكل هذا بسبيل التوغل في الكفر والتَّهكم وقد أطّر هذا الخطاب بالعامل الحجاجي (إنّما)الذي عمل على قصر الإنذار بالوحي، وعليه فهذا الكلام هو «قصر موصوف على صفة، وقصره على المتعلِّق بتلك الصفة تبعاً لمتعلقة فهو قائم مقام قصرين... وهذا الكلام يستلزم متاركة لهم بعد الإبلاغ في إقامة الحجة عليهم ولذلك ذيل بقوله تعالى (ولا يسمع الصم الدعاء) »[134]، وعليه فالوعيد الذي يتوعّدهم الله به يكون عن طريق الإنذار بالوحي فالإنذار لا يكون إلاّ به هو، وبذلك وبذلك فقد حصرت الأداة (إنّما) الإمكانات الحجاجية وقيّدتها وزادت من قوتها الحجاجية في توجيه الجمهور المتلقي نحو النتيجة التي تقول(الآية التي يتحدّاكم الله بها في زمانكم هي الوحي وفقط) وهذا من أجل حصول الإقناع ومنه فالتوجيه الحجاجي هو التذكير بوعيد الله لهم نتيجة كفرهم.

{وإبراهيم إذْ قال لقَومه اعْبُدوا الله واتَّقوه ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون(15) إنّما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكاً إنّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون

[134] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص78.

لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرّزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون (16)} سورة العنكبوت.

تضمنت هذه الآية قول حجة (إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً) يخدم نتيجة مفادها (أنتم مشركون) ، فقد جاء الصرفم (إنّما) في هذا المقام لإثبات حقيقة شركهم بالله واتخاذهم الأوثان أولياء لهم من دون الله فالقصر في هذه الآية منصبٌّ على عبادتهم للأوثان، ويقول بن عاشور في تفسيره لهذه الآية «وقصرهم على عبادة الأوثان ... أي دون أن يعبدوا الله فهو قصرٌ حقيقي إذ كان قوم إبراهيم لا يعبدون الله فالقصر منصبٌّ على قوله (من دون الله) أي إنّما تعبدون غير الله ... لكن قوم إبراهيم قد وصفوا بالشرك في قوله تعالى في سورة الأنعام (قال يا قوم إنّي بريءٌ مما تشركون) فهم مثل مشركي العرب فالقصر منصب على عبادتهم الموصوفة بالوثنية ، أي ما تعبدون إلاّ صوراً لا إدراك لها ، فيكون قصر قلب لإبطال اعتقادهم إلاهية تلك الصور كما قال تعالى (إنّما تعبدون ماتنحتون)»[135]، ومنه فالقصر الموسوم بقصر القلب يوضح المسار الحجاجي للآية وعليه فالتوجيه الحجاجي فيه مخالفة ؛بمعنى أنتم تعبدون هذه الأوثان وهي مخالفة لصفات الله أي أنَّ التوجيه الحجاجي فيه تنبيه للتراجع عن كفرهم.

{قل إن ضلَلْت فإنّما أضِلُّ على نفسي وإن اهتَدَيْتُ فبما يوحى إليّ من ربي إنّه سميعٌ قريبٌ(50)} سورة سبأ.

قد زعم مشركي مكة أنّ النّبي عليه الصلاة والسلام غير صادق في دعوته وأنّه على ضلال في هذه الرسالة ، في هذا الوقت كان القرآن الكريم ينزل مسترسلا على الرسول ﷺ ليجيبهم الله عن طريقه ويثبت صدق هذه الدعوة ويحذرهم من العذاب الذي سيلقونه نتيجة كفرهم، وقد جاء أسلوب القصر بـ (إنّما) في هذه بدور مفعِّل للخطاب ، فقد حصر عليه الصلاة والسلام الضلال على نفسه إن كان هو في

[135] نفسه، ج20،ص (224،224).

الحقيقة على ضلا في دعوته وحاشاه في ذلك، و «صيغة القصر التي في قوله (فإنّما أضلّ على نفسي) لقصر الضلال المفروض ، أي على نفسي لا عليكم لأنّهم كانوا يحاولون أن يقلع عمّا دعاهم إليه ولم يقتصروا على صدودهم »[136]، والقصر الذي نهض عليه الخطاب هو قصر حجاجي بالمعنى الدقيق للكلام ، لأنّه حصر عليه الصلاة والسلام الضلال على نفسهونفى أن يكون ذلك الضلال بسبب الدعوة التي وُكِّلت إليه وهذا ما يوضحه قوله (وإن اهتديت فبما يوحى إليّ من ربي)، فالضلال لا يكون إلاّ بي أنا وفي هذا تنبيهه على أنّ أي خطأ يحصل فمنه هو لا من الله ؛ أي أنّ كل الخير هو من عند الله وإنْ حصل شيء من الضلال فهو من الجهل، والإرشاد يكون بفضل من الله علي رسوله الكريم ﷺ .

وخلاصة ما سبق تتمثل في أنَّ العامل الحجاجي (إنّما) يعمل على تفعيل النَّص حجاجياً وذلك بتحويله إلى بنية مقيَّدة ومحصورة في دلالة واحدة ثابتة ، وهذا ما يؤكد أنّ الكلام إذا خلى من هذا العامل كان بحرًا واسعًا من التَّأويلات ، ومنه فعلاقة الصّرفم (إنّما) بالخطاب هي علاقة إثبات لأنّه بمجرّد دخولها على الجملة يتمُّ حصر ما بعدها وإثباته وإلغاء كل الاحتمالات التي كانت واردة في ذهن المتلقي الذي بدوره لا يلقى أيّ عناء في فهم المقصود الموجَّه إليه .

ب- عاملية القصر بالنفي والاستثناء:

يُعتبر النّفي والاستثناء أسلوب مِنْ أساليب القصر التي تحقّق العامليّة الحجاجية ،إلاّ أنَّه يختلف عن العوامل المذكورة سابقاً في بنائه التّركيبي وهو يتكوّن من صَرْفمين : الأوّل يفيد النّفي ويكون بأدوات (إن /ما/ ليس/ لا)، أمّا الثاني فيفيد الاستثناء بـ: إلاَّ.

وهذا الأسلوب يُعدُّ «مِن التّراكِيب التي تترتَّب فيها الحجج حسب درجتها

[136] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ج22، ص240.

الحجاجية... وهذا ما يسْتَثمرُه المُرسِل عادةً لإقْناع المُرسَل إليه بفعل شيء ما»[137]، ومنه فالخطاب الذي يدخل عليه هذا النّوع من الصّرافم هو خطاب حجاجي بامْتياز يتجاوز الإعلام والإخبار أي أنّه يتوجّه إلى نتيجة واحدة ومفهوم واحد ، أمّا إذا كَان الخِطاب دُون نفي واستثْناء تَتَعدّد فيه الاحْتِمالات والنّتائج الحجاجية ، وعليه فأهَم فائدَة لعَامليّة النّفي والاستثناء تلخّص في كَوْنه يُقلّص الاستلزامات ويوجّه القوْل نَحو نتيجة واحدة.

ومثال هذا النّوع من القَصر ما يلي: "خالدٌ في الخامسة من عمره"، الملاحظ على هذا الملفوظ أنّه خالٍ من العوامل الحجاجية إذَن فهو مُنْفتح على عدّة نتائج واحتمالات منها : تكثيف الدُّروس لخالد، تعليمه على الأقل لغة أجنبية واحدة ، عدم لعب خالد مع أصدقائه وتعويض ذلك بأنشطة أخرى تفيده في دراسته، يجب أن يساعد خالد والده في العمل... ، وكُل هذه الاحتمالات تؤدي إلى غموض مقصود الخَطِيب لكن عند إضافة الصرفم (ما...إلاّ) سيحدَّد المَفْهوم بدقّة كأن يقال: ما خالدٌ إلاّ في الخامسة من عمره ، فبمجرّد دخول صرفم النّفي والاستثناء معاً يفهم المتلقي من هذا القول أنَّ خالد لايَزالُ صغيرًا فلاَ تثْقل كاهِلَه بكثْرَة الدّراسة ، وبهذا زال الغموض باختزال النتائج في نتيجة واحدة أقوى إقناعًا وقد استعمل الرّسل الذين تشكل خطاباتهم محلَّ دراسة وتحليل في هذا البحث أُسْلوب القصر بالنّفي والاستثناء بكثرة وذلك مِن أَجل أن تسير العملية الإقناعية في الاتّجاه الحجاجي السليم الموصل للنتيجة المرجوة ، ونظرًا إلى أنّ هذا العامل من العوامل التي تقيد المحتوى الدلالي للملفوظ وتحصره في موضع ثابت فالقصر يلغي كل الاحتمالات والإستلزامات ويرفع احتمال واحد فقط يسلم به الجُمهور المتلقي ، فهو يُظهر بجلاء ما يريد المرسل ايصاله والدّفاع عنه لأنّه يحاكي

[137] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية - ، ص(519،520).

حالَة فكريّة واجتماعية معيّنة للذّات المُرسلة معبّر عنها في قالب لغوي تقرّره أداة النّفي والاستثناء الموظّفتين في السّياق الكلَامي ومن ثم يتمُّ التّوجيه نحو دلالة معيّنة، وهذا ما سيتم توضيحُه بتحليل الشواهد الآتية:

{وَمِنهُم مَن يستَمِع إليْكَ وجَعلْنا علـى قلوبهم أكِنَّةً أنْ يفقـهُوه وفي آذانهم وقرًا وإن يرَوا كلَّ آيةٍ لا يؤمنوا بها حتّـى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفَروا إنْ هذا إلاَّ أساطير الأوّلين(26)} سورة الأنعـام.

تمثّل هذه الآية خطاب موّجه من الله إلـى الرّسول صـلّى الله عليه وسلّـم، وقد تضمّن عاملاً حجاجياً في قولـه (إنْ هذا إلاَّ أساطيرُ الأوَّلين)والذي جاء ليؤدي غرضه في تقييد وحصر الإمكانات الحِجاجية لِلْقول ومنْهُ إثبات حقِيقَة كُفرهم، كمَا عبّرت أداة النّفي (إنْ) عن شدَّة هذا الكـفر ، ومنه يكون التوجيه الحجاجي منْ أجل(التَّأكيد علَى عَدَم الإيمَان) فرغْم كُل الآيات المعـجِزة والمُبْهرة والمخرسَة لَهُم حصروا جوابهم في كون القرآن من الأساطير وهو المعـبّر عنه باسم الإشارة (هذا) ، أنَّهُم قصَرُوا القُرْآن علـى الأَساطِير.

{ قالَ سآوي إلـى جَبَلٍ يَعـصِمُني مِنَ المـاءِ قـال لا عاصِـمَ اليَـوْمَ من أمرِ الله إلاَّ منْ رحِمَ وحـال بيْـنَهُما الموْجُ فَـكان من المُـغرقين(43)} سورة هود.

الشّاهد في هذا الخطاب هو القول الحجة (لا عاصِم اليَوم مِن أَمْر الله إلاَّ مَن رحِم) التي جاءت حاملة لأسلوب القصر، الذي بدوره عَمِلَ علـى تفْـعيل النّص حجاجيا والزيادة من طاقته الإقناعية بتوجيه هذا الخطاب حجاجيا وذلك من خلال تقليص الإمكانات الحجاجية وحصرها ومنه توجيه المخاطَب نحو نتيجة مضمرة (الجبل لن يعـصمك من أمر الله)، وعليه إذن فالقَصْر بـ (إنِ...إلاّ) قد زاد من القوة التوجيهية للخطاب في سبيل اسْتِـدراج المتلقّي وحمله للإذعان ؛ أي أنّ هذا العامل الحجاجي قد حصر النجاة أو العصمان من الطّوفان على الله لأنّه هو الآمر

بحصول هذا الطّوفان وبهذا يكون الطوفان مأمور، واستنادا إلى ما سبق فالتوجيه الحجاجي في هذا المقام هو (التنبيه إلى حتمية وخيم العاقبة للذين قضى الله عليهم الغرق) وبالتالي

إثبات أنّه لن يعصمك من أمر الله إلاّ هو.

{قال أرأيت إذْ أوَيْنا إلى الصّخرة فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ وما أنْسانيه إلاّ الشّيطان أن أذكرَهُ واتّخذ سبيلهُ في البحرِ عجبًا (62)} سورة الكهف.

أُسْتعمِل في هذا الخطاب الحصر في قوله (وما أنسانيه إلاَّ الشّيطانُ أن أذكرَهُ) من أجل تقييد الإمكانات الحجاجية لهذا القَول وإزَالة كُل الاحْتمالات والإستلزامات التي قد تشوّشُ فكر المتلقّي، فعندما تمَّ إدخال عامل القصر (ما ...إلاّ) في هذا الشَّاهد حدث تقلُّص للإمكانات الحجاجية وهو ما توضّحه دلالة قصْر النِّسيان على الشَّيطان ، أيْ أنَّ «وجه حصره إسناد هذا الإنساء إلى الشيطان، أنّ ما حصل له من نسيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسيان ليس من شأنه أن يقع في زمن قريب مع شدَّة الاهتمام بالأمر المنسي وشدَّة عنايته بإخبار نسيئه به»[138]، وبما أنّ الشّيء المنسي مهم تمّ التَّعبير عَنْ السبب في نسيانه عن طريق الاستعانة بالعامِل الحجاجي القَصْر بالنّفي والاستثناء من أجل حصُول الإقْناع وحَمْل المتلقّي للتَصْديق بمقصود المتكلّم وهذا ما يضمَن نجاح العمليّة الحجاجية ، ومن هنا يمكن القول إنَّ هذا العامل قد أدّى غرضه الإقناعي في نجاح العمليّة الحجاجية وذلك بتوجيه الحجة مباشرة نحو النتيجة التي مفادها (يكون النسيان بوسوسة من الشيطان)، ومنه فالتوجيه الحجاجي هو(التنبيه إلى ضرورة سد المنافذ في وجه الشيطان).

{ قال وما علمي بما يعملون (112) إن حسابهم إلاَّ على ربّي لو تشعرون(113)}سورة الشعراء.

[138] محمد الطّاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ،ج15، ص367.

قد جاء العـامل الحجاجي الحجاجي القصر بـ (إنْ... إلاَّ) في هذه الآية ليعـلن أنَّ الحساب لا يكون إلاّ من الله وحده ، فهو الذي له السُّلطة على السّماوات والأرض وما بينهما ، ونوحٌ عليه السّلام قد استعـمل في خطابه أداة النّفي (إن) والتي أعْطَت شدّة في التوكيد بأنّ الحساب على الله وحده فالقصر بهذا العـامل الحجاجي قد حصر شأن الحساب على الله وأنّه ليس نوح الذي يحاسب ، وقال محمّد الطّاهر بن عاشُور في تفسير هذه الآية : «والقصر في قوله (إن حسابُهم إلاّ على ربّي) قصر موصوف على الصّفة ، والموصوف هو حسابهم والصّفة هي على ربّي ، لأنّ المجرور الخبر في قوّة الوصف، فإنّ المجرورات والظروف الواقعـة أخبارا تتضمّن معـنى يتّصفُ به المُبتدأ وهو الحصول والثّبوت المقدّر في الكلام بكائن أو مستقر ... والتّقدير : حسابهم مقصور على الاتّصاف بمدلول (على ربّي) ... أي لا يتجَاوز الكَوْن على ربّي إلى الاتّصاف بكونِهِ عليَّ»[139]، ولمّا كـان هذا العـامِل الحجاجي مرتبط أشدّ الارتباط بحال المخاطِب - نوح عليه السلام- وما يحيط به من ظروف أي أنّه عبّر عن كل المعاني التي يحملها السياق التخاطبي للعملية الحجاجية ، فقومه استهزءوا بمن اتّبعـوه منهم بوصفهم أراذل في الآية التي قبلها، وعليه إذن فالعامل الحجاجي (إن...إلاّ) كان له الدّور البارز في توجيه الحجّة مباشرة للجُمهور المتلقّي من قومه إلى النّتيجة (الحساب عل الله)، ومنه فالتوجيه الحجاجي هنا يشير إلى(التنبيه بالمخالفة إلى عدم كونه هو الذي يحاسب) .

{قل ماكنت بدعًا من الرّسل وما أَدْري ما يُفعـل بـي ولا بِكُم إن أتّبع إلاّ ما يوحى إليّ وما أنا إلاّ نذيرٌ مبينٌ(08)} سورة الأحقاف.

إنّ العـوامل الحجاجية الواردة في هذه الآية جاءت في سياق الدّعوة إلى التّصديق

[139] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص162.

والإيمان بأنّ محمد صلى الله عليه وسلّم هو رسولٌ من عند الله يوحى إليه بتبليغ الرّسالة وأداء الأمانة ، ففي القول(إنْ أتّبعُ ما يوحى إليّ) قصر الاتّباع على الوحي قص حقيقي يتجاوز كون الاتّباع يكون من غير الوحي ، فهم يعتقدون أنّه ساحرٌ وشاعرٌ لهذا جاء القصر بالعامل الحجاجي (إنْ...إلاّ) ليدفع ويزيل الإنكار وهو ما حملته دلالة التوكيد بأداة النّفي(إنْ) ومن ثمّ الاستثناء بـ (إلاّ) وقد جاء قوله (وما أنا إلاّ نذيرٌ مبينٌ) ليخدم هو الآخر نفس النتيجة التي يرمي إليْها القول الأوّل، ومنه فالمعنى من «"وما أنا إلاّ نذيرٌ مبينٌ" لا مفترٍ، فالقصر قصرٌ إضافي، وهو قصر قلب لردّ قولهم (افتراه)»[140]، إنّ تتابُع العوامل الحجاجية الذي حصل في هذا الخطاب قد أعطى قوة في التبليغ لحمل المتلقّي على الإذعان والاستثناء بـ (إلاّ) هو ما زاد من درجات توضيح القصد ، فما أنا إلاّ يوحى إلي، وما يوحى إليّ إلاّ للإنذار وتبليغ الحق ، ومنه فالتوجيه الحجاجي الذي أُرِيد التّعبير عنه بالعاملية الحجاجية (النّفي +الاستثناء)هو(إثبات صدقه فيما جاء به من عند ربّه).

ووصلاً بما سبق يمكن القول إنّ العوامل الحجاجية هي من أهم المؤشّرات اللغوية التي تعمل على تماسك النّص القرآني حجاجيا ، وذلك من خلال دورها الفعّال في توجيه الحجة نحو النّتيجة مباشرة دون عناء التّفكير في كيفية اكتشافها وهذا ما يكون بواسطة الدّور الفعّال الذي تلعبُه العوامل الحجاجية في تقليص الإمكانات المحتملة للقول الواحد في احتمال واحد ثابت مما قد يجعل المتلقي يذعن ويسلّم بما طُرح عليه.

ثانيا: الرّوابط الحجاجية

لقد اهتمّ ديكرو وانسكومبر ببعضِ المُؤشّرات اللغويّة التي تقوم بترتيب الحُجج وتنظيمها والرّبط بينها ومِن ثمَّ ترسِيخها في ذهن المُتلقّي وقيادته إلى الوجهَة

[140] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج26،ص18.

التي يروم المتكلّم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تحقّق الانسجام والتماسك النّصي ، كما أنّ هذه الأدوات اللغوية تتجاوزُ الوظيفة النّحوية إلى وظيفة أخرى يشحنها بها السّياق التّخاطبي لعملية الكلام وهي الوظيفة الحجاجية ، وهذه المؤشرات اللغوية تسمى بـ: الرّوابط الحجاجية والتي هي عبارة عن «مكونات لغوية تداوليّة تربط بين قولين (أو أكثر) داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة ، بحيث تَسمحُ بالرّبط بين المتغيّرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج)»[141]، أي أنّ الدّور الحجاجي الرّئيس الذي تقوم به هذه الأدوات هو الرّبط بين الحجة والنتيجة في إطار سياق كلامي واحد ، وتكمن القيمة الحجاجية لهذه الرّوابط في أنّها تضطلع بدورين :«الرّبط الحجاجي بين قضيّتين ، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججًا في الخطاب»[142]، ومن هذه الرّوابط بحسب تقسيم أبو بكر العزّاوي ما يلي :[143]

1/- الرّوابط المدرجة للحجج : حتى ، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ ...

2/- الرّوابط المدرجة للنّتائج: إذن، لهذا، بالتالي...

3/- روابط التّعارض الحجاجي:وهي التي تقوم بالربط بين متنافيين أو متعارضين ومنها : بل ،لكن ...

4/- روابط التّساوق الحجاجي: وهي التي تقوم بالربط التّتابعي لمجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة واحدة مثل: حتّى، لاسيما...

وفي هذا البحث سيتم التركيز على الأشهر منها والأكثر ورودا في الخطابات محل الدّراسة وهي : لكن ، بل ، حتّى.

1) الرّابط الحجاجي(لكن) : يعدُّ الحرف لكن من الرّوابط الحجاجية الرّابطة بين حجتين متعارضتين ومتفاوتتين في القوّة، ونحويا الأداة (لكن) هي حرف مشبّه

[141] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص100.
[142] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية -، ص508.
[143] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص30.

بالفعل من أخوات (إنّ) التي تدخل على الجملة الإسميّة فتنصُب المبتدأ ويكون اسمًا لها وترفع الخبر على أنّه خبرًا لها، ولكن هي من الرّوابط التي تؤسّس علاقة الاستدراك «ومعنى الاستدراك أن تنسب حُكمًا لاسمها، يُخالف المَحكُوم عليه قبلها، كأنك لمّا أخبرت عن الأوّل بخبرٍ، خِفت أنْ يُتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره، إن سلبًا وإنْ إيجابًا، ولذلك لا يكون إلاّ بعد كلام ملفوظ به، أو مقدّر ... ولا تَقعُ لكنّ إلاّ بيْن متنافيين ، بوجه ما... قال الزمخشري: لكن للاستدراك ، توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا فتستدرك بها النّفي بالإيجاب والإيجاب بالنّفي ... والتغاير في المعنى بمنزلته في اللّفظ»[144]، وهذا ما يوضّح أنّ المرسل يوظف لكن لأداء وظيفة حجاجية وهي الاستدراك بالثاني عن الأوّل وعليه يكُون القول الذي بعد (لكن) أقوى حجاجيًا من الأوّل فالمرسل يستدرك بها بعد نفي أو نهي، مثل:

أ- لماذا تكذب عند التّحقيق معك؟

ب- ما كذبت ، لكنّي احتلت في كلامي

في هذا المثال عمد المرسل إلى نفي الكذب أوّلاً ثمّ ارتقى بحجاجه إلى درجة أعلى وهي إثبات الحيلة والتملّص من قول الحقيقة ، وعليه فقد كان الغرض من استعمال الرّابط (لكن) هو توجيهها بحجة إثبات النّتيجة والتحفّظ بها، ولهذا يكون القول الذي بعده أكثر قوة ، ذلك لأنّها من روابط التعارض الحجاجي فهي تقوم بالرّبط بين ما يتقدّمُها وما يليها ، فالتلفّظ بالأقوال المتضمّنة هذا النّوع من الرّوابط كما قال أبو بكر العزاوي يستلزم أمرين هما :

1. يقوم المتكلّم بعرض حجتين حيث تكون الحجة الأولى موجّهة نحو نتيجة معيّنة " ن" في حين تكون الحجة الثانية موجّهة نحو النتيجة المضادة لها.

[144] الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني ، تح: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان، ط1، (1413ه/ 1992م)، ص(615،616).

2. يقدّم المتكلّم الحجة الثانية باعتبارها أقوى حجة ولأنّها توجّه القول برمّته وقد ورد الرّابط الحجاجي(لكن) في النّص القرآني ، و سيتِمُّ توضيح أهم ما يتميّز به عمل هذا الرّابط من النّاحية الحجاجية مِن النّاحية الحجاجية من خلال دراسة هذه الآيات:

{ ليْسَ علَيك هُداهم ولكنَّ الله يَهدِي مَن يَشاء (271)} سورة البقرة.

نزلَت هذه الآية كخِطاب موجّه للرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، والملاحظ أنّ هذا الخطاب يتضمّن الرّابط الحجاجي (لكن) الذي جاء متوسّط بين حجّتيْن تخدُمان نتيجتين متعَارضتين ، الحجّة الأولى هي القَول (ليس علَيك هُداهم) والنتيجة المستخلصة منها(يا أيّها النّبي إنّما عليك البلاغُ والإرشاد دون هداهم) ، أمّا الحجّة الثّانية تمثّلت في قوله (الله يهدي من يشاء) وهي من تمتلك القوّة في توجيه الخطاب برمّته نحو النّتيجة المضادّة للنتيجة السّابقة التي تقول(الهادي هو الله) ؛ والمعنى الذي يفهم أنّ الله سبحانه وتعالى بالحجّة الأولى نفى كون الهداية مقصُورة على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وهذا ما يستلزم نتيجة مضادّة تقودنا إليها الحجّة الثّانية وهي :(إبطال انتفاءها على الله)، وهو ما يبرّر الرّ أي القائل بأنّ الحجّة الواقعة بعد (لكن) تعدّ الأقوى حجاجيًّا على اعتبار أنّها وجّهت الخطاب كلّه إلى نتيجة واحدة ثابتة محصورة في قضية واحدة وهي إثبات أنّ الهداية على الله ، وبناء عليه وُجد أنّ السبب من توظيف الأداة (لكنّ) أي توجيهها الحجاجي هو (انتفاء فعل الهداية على الرّسول إبطاله على الله).

{ قال الملأ من قومه إنّا لنراك في ضلالٍ مبين (59)قال يا قَوم ليس بي ضَلالةٌ ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمِينَ(60)} سورة الأعراف.

هذا الخطاب على الرّغم من كَونِه مُجادلة إلاّ أنّه يحمِل دعوة عامّة مِن نوح

عليه السّلام بوحي من ربّه ليبلّغ بها قومَه ، وقد حمَلت هذه الآية معنى الاستدراك الذي تحقّق بتوظيف الرّابط الحجاجي (لكن) ولعلّ أنّ ذلك عائدٌ إلى« رفع ما توهّموه من أنّه في ضلال حيث خالف دينهم ، أي هو في حال رسالة عن الله ، مع ما تقتضي الرّسالة من التّبليغ والنّصح والإخبار بما لا يعلمُونه ،وذلك ما حسبوه ضلالا، وشأن (لكن) أن تكون جملَتها مُفيدة معنًى يُغاير معنى الجُملة الواقعة قبلها ، وذلك هو حقيقة الاستدراك الموضوعة له(لكن)»[145]، وفي هذه الآية قد حقّق الرّابط (لكن) تعارضًا حجاجيّا بين ما يتقدّمُها وما يتلُوها فالقسم الأوّل من الآية (قال يا قوم ليس بي ضلالة) يتضمّن حجة تخدم نتيجة من قبيل(الضّال من المستحيل أنْ يكُون نبيئًا) ، أمّا القسم الثاني من الآية (ولكنّي رسُولٌ من ربّ العالمين) فجاء لإثبات النّتيجة المعارضة لما

سبقها وهي الرّسالة ، وبذلك فقد جاء الإثبات بالحجة الثانية استدراكًا للنّفي الذي تضمّنته الحجّة الأولى وبمَا أنّ الحجَّة الثانية التي تضمّنت الاستدراك أقوى من الحجّة الأولى فإنّها ستُوجّه الخطاب بمجمله نحو النّتيجة المضادّة (لا- ن) ومنه فالنّتيجة المصرّح بها هي(إثبات صدق رسالته عليه الصلاة والسلام) ، أي أنّ الحجج المقدّمة في هذا الخطاب توجّه حجاجيّا لـ: (إثبات صدق الرّسالة)، وستتّضح وظيفة الرّابط الحجاجي (لكن)أكثر في المخطّط التالي:

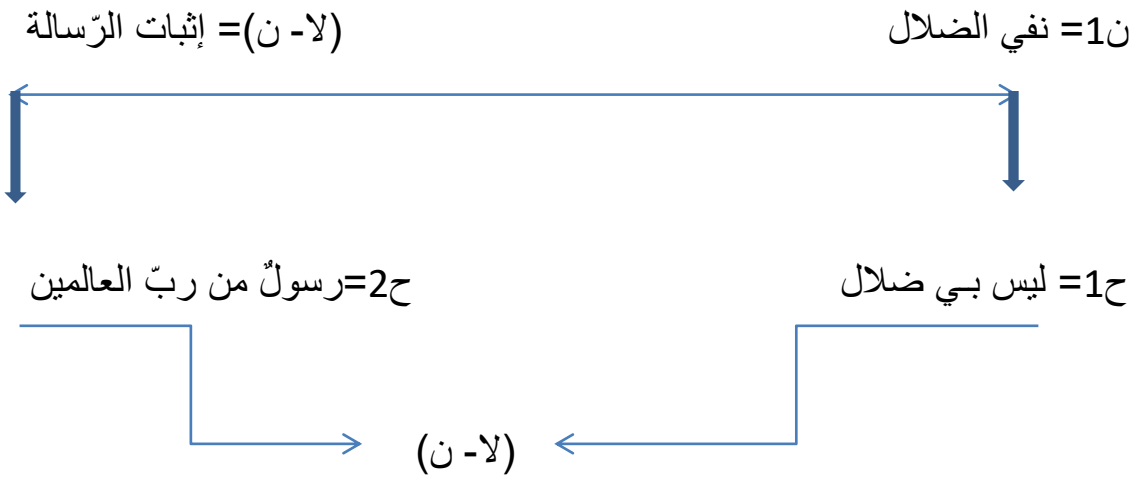

{ ولمّا جاء مُوسى لمِيقاتنا وكلّمه ربُّه قَال ربِّ أرني أنظُر إلَيك قال لَن تَراني ولكن أنظر إلى الجَبل فإن اسْتقرّ مكانُه فسَوف تراني فلمّا تجلّى ربُّه للجبَل جعَله دكًّا وخرّ مُوسى صعِقًا فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين(143)} سورة الأعراف.

[145] محمّد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج8، ص193.

الملاحظ أنّ هذه الآية جاءت بمعنى عظيم وهو طلب موسى عليه السلام رؤية الله وذلك في قوله (قال ربّ أرني أنظر إليك) وقد ورد الجواب عن هذا السؤال الطّلبي مباشرة بعده وقد ابتدأ بأداة النّفي (لن) فقال (لن تراني ولكن أُنظر إلى الجبل فإنْ استقرّ مكانه فسَوف تراني) ، ولمّا كانت أداة النّفي (لن) لتأكيد النّفي في المستقبل نفت رؤية موسى لله سبحانه وتعالى نفيًا لا حياد عنه وهذا ما يُثبت عظمة الله وجلالته ومنه كان الرّد على طلب الرّؤية ردّا منفيًّا بانعدام تحقيقها ، ونظرًا لأنّ الجواب جاء من الجهة العليا في هذا الكون أدّى إلى إسكات موسى عليه السّلام على الإلحاح في طلبه ، أنّ القول الحجة (لن تراني) هو ما يؤكّدُ النّتيجة (انعدام الرّؤية) ، واللافت للانتباه أنّ ما جاء بعد هذا النّفي كان استدراك بالرّابط الحجاجي (لكن) وهذا ما أدّى إلى تقوية سياق الكلام والحفاظ على استمرارية النّص؛ وذلك من خلال قلب موازين النّتيجة السّابقة ببناء سياق حجاجي ثاني معارض للأوّل في قوله (ولكن أنظر إلى الجَبل فإنْ استقرّ مكانه فَسَوف تَراني) وهذه الحجّة توجّه النّص بكامله إلى نتيجة مضادّة (لا- ن) وفيه تشويق للمتلقي فقط لأنّ الرّؤية لَمْ تحصُل ، فطلب الرّؤية قد تمّ نفيُه بقوله (لن تراني) أمّا القول بالاستدراك يقتضِي أنّ رؤية الله تعالى جائزة عليه لكن يعجَز البشَر عن هذه الرّؤية في الحياة الدّنيا وهو ما أثبتَتْهُ آخر الآية ، ويقول محمّد الطّاهر بن عاشور في تفسير معنى الاستدراك لهذه الآية « والاستدراك المستفاد من(لكن) لرفع توهّم المخاطب الاقتصار على نفي الرّؤية بدون تعليل ولا إقناع ، أو أنْ يتوهّم أنّ هذا المنع لغضب على السّائل ومنقصة فيه ، فلذلك يعلم من حرف الاستدراك أنّ بعض ما يتوهّمه سيرفع، وذلك أنّه أمره بالنّظر إلى الجبل الذي هو فيه هل يثبت في مكانه... ولمّا كان استقرار الجبل في مكانه معلوما لله انتفاؤه، صح تعليق

الأمر المراد تعذّر وقوعه عليه بقطع النّظر عن دليل الانتفاء »[146]، وممّا تقدّم فالتوجيه الحجاجي لهذا الخطاب يوحي بانعدام الرّؤية ، ومنه فالرّابط الحجاجي (لكن) قد ربط بين حُجّتين متعارضتين إلاّ أن المعارضة في الحُجّة الثانية لم تستمر لأنّ الأداة (سوف) التي هي للمستقبل قامت بدفعها.

وممّا سبق تمّ التوصّل إلى أنّ الرّابط الحجاجي (لكن) يخلق تعارض حجاجي بين متنافيين ومتعارضين وهذا التّعارض ينتج عنه عنصر الاستمرارية الذي يحقق الانسجام داخل النّص، فيتمّ الاستدراك بالثاني عن الأوّل والنّتيجة المستخلصة من القسم الحجاجي الثاني الذي هو بعد (لكن) يعدُّ الأقوى حجاجيّا لأنّه يوجّه الخطاب برمّته نحو هذه النّتيجة المضادّة.

2) الرّابط الحجاجي (بل) : قد أجمع معظم النّحاة العرب على أنّ (بل) تكون للإضراب، ومنه فهي : « حرف إضراب ، وله حالان: الأوّل: أن يقع بعده جملة ، والثّاني : أن يقع بعده مفرد ، فإن وقع بعده جملة كان إضرابا عمّا قبلها ، إمّا على جهة الإبطال، وغمّا على جهة التّرك للانتقال، من غير إبطال ... وإذا وقع بعد (بل) مفرد فهي حرف عطف، ومعناها الإضراب. ولكن حالها فيه مختلف فإنْ كانت بعْدَ نَفي فَهي لتقرير حُكم الأوّل، وجعل ضدّه لما بعدها »[147] ، وتأتي (بل) «لتدارُك كلام غُلط فيه ... وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ في غيره»[148] وسواء كانت (بل) للإضراب الإبطالي أم الإنتقالي فهي تقوم بالربط بين حجتين لا تنتميان إلى نفس القسم الحجاجي لأنّها من الرّوابط المدرجة للحجج المتعارضة ، وتكمن حجاجيّتها في «أنّ المرسل يرتّب بها الحجج في السّلّم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة وذلك بأنّ بعضها منفي وبعضها مُثبت»[149].

---

[146] محمّد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص92.
[147] الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص(235،236).
[148] أبو القاسم الزجّاجي ، حروف المعاني ،تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل ، الأردن ، ط2، (1406هـ/1986م)،ص14.

وعليه إذن يمكن القول إنّ الرّابط الحجاجي(بل) يستعمل للإبطال والحجاج معًا فهو يقيم علاقة حجاجيّة مركّبة من علاقتين حجاجيّتين فرعيّتين تسيران في اتجاه النّتيجة المضادّة أي بين الحجّة التي تأتي بعد (بل) والنّتيجة المضادّة للنّتيجة السّابقة[150].

وسيتمّ توضيح الدّور الحجاجي لهذا الرّابط أكثر من خلال تحليل النّماذج الآتية :

{ فقال المَلأُ الذين كَفرُوا مِن قَومه ما نَراك إلاّ بشرًا مِثلُنا وما نرَاك اتّبعكَ إلاّ الذين هُم أراذلنا بادي الرَّأي وما نَرى لكُم علَينا من فضلٍ بَل نظنُّكم كـاذبين (27) } سورة هود.

لمّا قام نُوحٌ عليه السّلام بدعوة قومه عامّة لقِي فئة معـارضة له ، وفي هذه الآية نلاحظ مجموعة من المقدّمات الحجاجية التي تعبّر عن مدى كفرهم وكل هذا من أجل الانتقال إلـى مرحلة التّكذيب التّام بنوح، فهُم لمْ يجدوا هذا الذي يدّعي أنّه رسولٌ إلاّ بشرًا مثلُهم فقالوا (ما نراك إلاّ بشرًا) ، أمّا أتباعُه لم يكونوا من الأشراف والسّادة في القوم وعبّرُوا عن هذا بقولهم (ما نراك اتّبعـك إلاّ الذين هم أراذلنا) ، ثمّ إنّ نوحٌ عليه السّلام لم يُظهر لهم العلامات المرئية التي تعـبّر على نبوّته فأتبعـوا ما سبق بالقول (مانرى لكُم علينا من فضلٍ)، وكل الأقوال التي ذُكرت على لِسان القوم هي بمَثابة الحُجج المقدّمة من طرفهم لتأكيد النّتيجة القائلة بـ : (انعدام التّصديق برسالة نوح عليه السّلام) ، وختموا جدالهم بالقول الحجّة(بل نظنّكم كاذبين) ومن هنا فالمحور الأساسي الذي يجب التّنويه لدوره هو الأداة (بـل) فهي التي أدت إلى حدوث اضراب انتقالي ؛ ذلك لأنّهم قدّموا كل حججهم المذكورة سابقًا للانتقال إلى درجة التّكذيب التام وبذلك تمّ الانتقال من غرض البحث عن أوصاف الكمال التي تثبت لهم أنَّ نوحٌ عليه السّلام صادق في دعوته

[149] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية- ،ص514.
[150] ينظر: أبو بكر العزّاوي ، اللغة والحجاج، ص(61،62).

إلى غرض التّكذيب برسالته ومنهُ يكون تأكيد كُفرهم ، والملاحظ إذن أنّ الرّابط الحجاجي (بل) قد أدّى اضرابًا انتقاليًّا يصوّر الدلالة الحجـاجيّة الحقيقية من خلال إقامة علاقة حجاجيّة مُحكمة بين نَسقيْن حجاجيين ، فيكون الانتقال من النّسق الحجاجي الأوّل إلى الثّاني من غير ابطال للنسق الاوّل وإنّما إثباته بإثبات نتيجة النّسق الثاني ؛ أي أنّه تمّ الانتقال بواسطة الاضراب الحجاجي بالرّابط (بـل) من غرض البحث عن أوصاف الكمال التي تثبت لهم صدق نبوّة نوح إلى غرض التّكذيب النّهائي الذي بدوره لـمْ يُبطل ما سبقهُ، فكانت النتيجة المصرّح بـها (نوح واتباعه كاذبين) ومنه فالتوجيه الحجاجي هو (التأكيد على عدم نبوّته حسب معتقدهم) .

{ قالوا يا مُوسى إمّا أنْ تلقي إمّا انْ نكُون أوّل مَن أَلقى (64) قال بل ألقوا فإذا حبالُهُم وعِصيّهم يخيّل إليه من سحرهم أنَّها تَسعـى (65)} سورة طـه.

قد تأسس هذا النّص على علاقة حجاجية مركّبة من علاقتين حجاجيّتين فرعيّتين، العـلاقة بين حجة السّحرة في الاستدراج بالتّخيير في قولهم (يا موسى إمّا أنْ تلقي وإمّا أن نكُون أوّل من ألقى) والنّتيجة (زرع الخَوف في نفس مُوسى عليه السّلام) ، وعلاقة حجاجيّة ثانية تَسير في اتّجاه النّتيجة المضادّة أي بين أقوى حجّة وهي القول الذي بعـد (بل) المتمثّل في (بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيّهم يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعـى) والنّتيجة المضادّة (عدم خوف موسى وشجاعته)، والملاحظ انّ الرّابط (بـل) قد حقّق وحدة حجاجيّة عن طريق الإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض من غير ابطال ، فهو بقوله (بـل ألقوا) انتقل من غرض التخيير إلى غرض آخر وهو فِعـل الإلقَاء وتحوُّل عَصى موسى إلى أفعـى حقيقيّة ، ومنه إذن فالرّبط الحجاجي (بل) لم يُبطل القول الذي قبله وإنّما تمّ الانتقال بواسطته من غرض حجاجي إلى آخر، ومن هنا يتّضح الدّور الحجاجي لهذا الرّابط

إذْ أنّه قام بالرّبط بين الحجج والنّتائج وأصبحت النّتيجة المضادّة وهي (عدم خوف موسى عليه السّلام من إلقاء السّحرة أوّلاً) هي النّتيجة الموجّهة لكلّ القول وهذا ما يبررّ أنّ الحجة التي بعد(بل) هي الأقوى وذلك لأنّ نتيجتها هي الأقوى في توجيه القول، أمّا الحجّة والنّتيجة السّابقة قد لعِبت دور المساعد، واستنادا لما سبق فالتوجيه الحجاجي المستخلص من هذا الخطاب هو (التّأكيد على نُصرة الحق وزهوق الباطل).

{قالوا ءأنْتَ فَعلتَ هذا بآلهتنا يا إبرَاهيم (62) قال بل فعلَهُ كبيرُهُم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون (63)} سورة الأنبياء.

إنّ الإضراب الوارد في هذه الآية هو إضراب انتقالي من غرض إلى غرض على غير إبطال صادرٌ منْ إبراهيم عليه السّلام للإجابة على سؤال قومه عن من قام بتكسير أصنامهم حيث قالوا (ءأنْتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم) فجاء جوابه لهم قويًّا بقوة الرّابط الحجاجي (بل) الذي عمل على الزيادة من فعالية الخطاب حجاجيّا وخلق عنصر الانسجام والتماسك النّصي الذي يضْفي طابع الاستِمراريّة ومنه يكون هناك تَشويق للمتلقّي وهو ما يَجعل ذهنُه منفتح لتتبّع كل الأحداث، فالقوم قد قاموا بسؤال إبراهيم كي يّعترف بفِعلَته حتّى يؤذونه لكنّ جوابه لهم جاء قوي جدًّا كما هو ملاحظ ممّا جعَلهُم يذعِنون لذلك بمراجعة أنفسهم عندما قال (بَلْ فعله كَبيرهم هذا فسْئلُوهم إنْ كانوا ينطقون) وفي ذلك تنشيطٌ لعقولهم كي يعلموا أنّ آلهتهُم مجرّد حجارة لاتسمن ولا تغني من جوع ، وقد وضع لهم شرط النّطق بسؤالهم ؛ أي إنْ تحقّق شرط نطقهم فإنّ صفة الآلهة تصدق عليهم كما تزعمون، وهنا إبراهيم أراد أن يوجّه عقولهم حجاجيّا إلى (الاعتراف بعبادة ما لا ينطق) ، لأنّ هذا لا يتقبّله العقل البشري فأصنامهم هذه لا تنفع ولا تضر فكيف ستجيبُهم؟ ، والملاحظ أنّ إبراهيم قد اسْتعمل الجَانب العقلي في مخاطبة قومه

من أجل حصول الإقناع ، وفي هذا السياق التّخاطبي تمّ الانتقال من غرض إلى غرض بواسطة الرّابط الحجاجي (بل) ؛ أي الانتقال من سؤال إبراهيم إلى سؤال كبير الآلهة ، وبما أنّ بل هي من روابط التّعارض الحجاجي فإنّها أقامت في هذه الآية علاقة حجاجيّة مركّبة من علاقتين حجاجيّتين فرعيّتين ، علاقة بين الحجة (بسؤال القوم ابراهيم عن الفاعل الذي حطّم الآلهة) والنّتيجة (القيام بإيذاء إبراهيم عليه السّلام) ، وعلاقة حجاجيّة ثانيّة تسير في اتّجاه النّتيجة المضادّة (لا- ن)؛ أي بين الحجّة الأقوى التي جاءت بعد (بل) وهي (بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون) والنّتيجة (تحفيز العقول وتنبيهها بأنّ ما تعبدُه مجرّد حجارة) وهذه النّتيجة هي التي تعْمل على تَوجيه القَول أمّا النّتيجة السّابقة فقامت بمساعدتها فقط.

3) الرّابط الحجاجي (حتى): تعدّ الأداة (حتّى) من روابط التّساوق الحجاجي الرّابطة بين حُجج متعدّدة تخدُم نتيجة واحدة، ويتّضح الدّور الحجاجي لهذا الرّابط في القوة التي يضطلع بها لترتيب مدارج السّلّم.

وغالبًا ما تكون حتّى «عاطفة وناصِبة ، وجارّة بمعنى انتهاء الغاية ، كقولك : سار النّاسُ حتّى زيدٌ»[151] ، وحتّى الجارّة بحسب جمهور النّحاة يجب أن تراعي شروط مجرورها في التّركيب ، وهي « الأوّل : أن يكون ظاهرًا ، فلا تجرُّ الضمير... والثاني : ان يكون آخر جزءٍ، أو ملاقي آخر جزءٍ»[152]، ويرى أبو بكر العزّاوي أنّ الوصف الذي قدّمه كل من ديكرو وأنسكومبر للأداة (même) في اللغة الفرنسية يطابق الأداة (حتّى) في اللغة العربية ، فالحجج التي تربط بهذا الرّابط تنتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة وبالتالي فهي تخدم نتيجة واحدة على أن تكون الحجّة الواردة بعد (حتّى) هي الأقوى وهذا

[151] أبو القاسم الزّجاجي ، حروف المعاني، ص64.
[152] الحسين بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص(544،543).

ما قصده النُّحاة بأن يكُون ما بعدَها غاية لمَا قبلها ، ولذلك فالقول المشتمل على الأداة (حتّى) لا يقبل الإبطال ولا التّعارض الحجاجي [153].

ومن النّماذج التي ورد فيها الرّابط الحجاجي حتّى في خطابات أولي العزم من الرّسل مايلي:

{ يا مُوسى لن نُّؤمن لكَ حتّى نرى الله جَهْرةً فأخذتكم الصَّاعقة وأنتم تنظرون(54)} سورة البقرة.

قد جاء الرّابط الحجاجي حتّى في هذه الآية ليؤدّي دورًا بارزًا في تحقيق استمرارية النّص، والملاحظ أنّ ما سبق هذا الرّابط كان نفيًا بالأداة (لن) في القول الحجّة(لن نؤمن لك) وهذا فيه تأكيد بانعدام الإيمان كليّا وما يثبت ذلك الحجّة الوقعة بعد (حتى) و المتمثّلة في القول (حتّى نرى الله جهرةً) ، ومنه إذن فالحجّة التي وقعت بعد الرّابط الحجاجي (حتى) قد أضافت طاقة حجاجيّة للحجّة التي سبقتها ، ومن هنا تتّضح الوظيفة الحجاجيّة التي يضطلع بها هذا الرّابط في ترتيب الحجج المتساوقة والمدرجة للحجج القويّة التي تنتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة على اعتبار أنّ الحجج الواردة بعد هذا الرّابط هي الأقوى ، وعليه فالحجج الواردة في هذا الخطاب تَخدم نتيجة واحدة وهي(انعدام الإيمان) ومنه فالتوجيه الحجاجي في هذا الخطاب يشير إلى (التّأكيد على انتفاء إيمانهم من خلال طلبهم لشيء لن يَحصل).

{ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا وإنْ يروا كلَّ آيةٍ لا يؤمنوا بها حتّى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين(26)} سورة الأنعام.

الملاحظ في هذا الخطاب أنّ الرّابط الحجاجي (حتّى) قد ربط بين مجموعة من

[153] ينظر: أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص73.

الحجج المتتابعة والتي تخدم نتيجة واحدة ، فالذين اتّخذوا القرآن سخريّة وكفروا به :

ح1= جعلنا على قلُوبهم أكنّةً أن يفقهوه.

ح2= في آذانهم وقرًا.

ح3= إنْ يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها.

الرّابط الحجاجي حتّى

ح4= إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاّ اساطير الأوّلين.

فكل هذه الحجج سواء ماكان منها واردًا قبل الرّابط (حتّى) أو بعده إنّها تخدُم نتيجة واحدة وهي (الله لن يشرح صُدورهم بالقرآن وإنّما يتركهم في ضلال الكفر) ، ويجب الإشارة إلى انّ الحجّة التي وردت بعد (حتى) كانت هي الأقوى ذلك لأنّها جاءت مؤكّدة للنّتيجة ؛ أي أنّها أثبتت طمس عقولهم عن تدبّر آيات القرآن الكريم حتى يبقوا في ظلمات كفرهم و ما حمل هذه الدّلالة هو القول (حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين)، ومنه إذن فالحجة الواردة بعد (حتى) هي الأقوى في تأكيد النّتيجة وساعدتها الحجج التي قبلها في إيضاحها، أمّا التوجيه الحجاجي الذي يوضح الغاية من توظيف هذا الرّابط هو(التّأكيد على طمس قلوبهم عن الإيمان).

واستنادًا إلى ما سبق تحلُيله، تمّ التوصّل إلى أنّ الرّوابط الحجاجيّة الواردة في خطابات أولي العزم مِن الرّسل قد ساهَمت بشكلٍ كبير في تسهيل العمليّة الإقناعيّة ، من خلال الرّبط المُتتابع بين الحجَج والنّتائج وهو ما يؤدّي إلى خلق استمراريّة للنّص الحجاجي وهذا ما يفعّل العنصر التشويقي لدى المتلقّي ويجعله أكثر انسجامًا مع النّص وأفكاره وينقلُه من سياق إلى آخر دون وجود أيّ خلل تركيبي ممّا يؤدّي إلى تشكيل بنية حجاجيّة متكاملة بين ما يسبق

الرّابط الحجاجي وما يليه ، وفي هذا الصّدد لابدّ من الإشارة فقط إلى أنّ كل الرّوابط التي تمّت دراستها في هذا الفَصل يكون ما بعدها أقوى حجاجيًّا من الذي قبلها ، ولعلّ أنّ ذلك يعود للنّتيجة المستخلصة من القول الذي بعد الرّابط التي تعمل على توجيه الخطاب كلّه دون إغفال مساعدة النّتيجة السّابقة لها، وهذا هو العمل التّكاملي الذي إذا أحسن المرسل اتقانه كان خطابه حجاجيّا يبهر المتلقّي وبالتالي يحدث التّأثير والإقناع.

خلاصة الفصل

من خلال ما سبق تحليله في هذا الفصل يتبيّن أنّ تلك العوامِل الحجاجية والروابط الحجاجيّة الواردَة في خطابات الرّسُل قد أثبتَت حجاجيّة هذه الأخيرة، نظرًا لدورها البارز في تنشِيط النّص وتَفعيلِه حجاجيّا ،ومِن ثَمّ تَحقيق الانسجام والتّماسك النّصي ممّا يؤدّي إلى استمراره دون وجود أي خلَل تركيبي دلالي يعيق فهم المتلقّي الشيء الذي يجعلُه متابعًا لكلّ حدث بشوق ، ويجب الإشارة إلى أنّ هذه الرّوابط والعوامل الحجاجيّة تُساهم بشكلٍ كبيرٍ في تَشكيل البِنية الحجاجيّة اللغويّة العامّة للخطاب وجعلِه كلًّا متكاملاً ، وهذا حتمًا يعُود للدّور الحجاجي الذي تضطَلع به كل أداة من هذه الأدوات اللّغويّة ، فمثلاً هناك من يُساهم في عمليّة حصر وتقييد الاحتمالات للقَول الواحد وجعلها مقصُورة على احتمال واحِد ثابت كـ : عامليّة القصر بالنّفي والاستثناء، ومنها ما يحدّد النّتيجة بسُرعة ودقّة وبذلك لا يجد المتلقّي أيّ صعوبة في فهم القصد وهذا ما يَقوم به عامل النّفي ، وأيضًا منها ما يخلُق تعارُضًا حجاجيًّا كالرّابط الحجاجي (لكن) الذي يفيد معنى الاستدراك والرّابط (بل) الذي يكون للإضراب، ووجد أنّ بعضها يعمل على تقويّة النّتيجة وتأكيدها كالرّابط (حتّى) ...الخ، والملاحظ أنّ الرّسُل قد عمدوا إلى توظِيف هذه المؤشّرات اللُّغويّة في خِطاباتهم مع أقوامهم قَصد تحقيق التّأثير والإقناع وذلك مِن أجل إثبات صدق دعواهم.

الخاتمة

الخاتمة

بعد إتمام هذا العرض الخاص بمجال الحجاج في جانبه اللغوي وتفصيل القول في أهم الآليات اللغوية التي تجعل الخطاب يمتلك بعدًا حجاجيًّا عن طريق تنويع المتكلّم في هذه المؤشّرات بغية تحقيق الإقناع، وهو ما لوحظ على خطابات أولي العزم من الرُّسل في القرآن الكريم التي تمثل إجراءً تطبيقيًا في هذا البحث تمَّ التّوصل في الأخير إلى النّتائج التالية:

- الحجاج هو من أهم الطرائق التواصليّة الباعثة على التأثير والإقناع، لأنّه يمتلك مجموعة من الآليات الحجاجيّة التي تعين المرسل في بناء خطابه الحجاجي ، ومنها الآليات اللغوية المشكّلة للحجاج اللغوي .
- القرآن الكريم خطاب حجاجي بامتياز ، كونه خطابًا إقناعيًّا وتأثيريا، يرمي إلى تغيير الأفكار والمواقف والرؤى عن طريق تغيير وضع قائم.
- الملاحظ على الحجاج الموظّف في خطابات أولي العزم من الرّسل في القرآن الكريم أنّه قد خرج من دائرة المغالبة والمخاصمة إلى التوجيه والتنبيه لتحصيل الاقتناع العقلي بجدوى الرّسالة الرّبّانية .
- إنّ خطابات الرّسل كانت متنوّعة بتنوّع توظيف الآليات الحجاجية اللغوية التي تقوم بتوجيه القول الحجة والنّتيجة.
- قد تشكّلت خطابات أولي العزم من الرّسل من مجموعة من الأليات اللغوية في بنيتها الداخلية ، ممّا جعلها تمتاز بالتماسك والانسجام ؛ ففي بعض الخطابات مثلا تنتقل من سياق إلى آخر دون وجود أي خلل تركيبي دلالي، وهذا طبعا يحيل إلى الجانب الجمالي المفضي إلى التأثير والإقناع ،وهو ما يجعل المتلقي يدرك جمال الخطاب القرآني وأنّه كلٌّ متكاملٌ في نسيجه ومعناه.

- تشكّل الخطاب الحجاجي لأولي العزم من الرسل في لغته من مجموعة من الأدوات اللغوية كأدوات التّعليل ، و أدوات الشرط، والوصف بأشكاله المختلفة، والأفعال الكلامية ، والتبادل.
- الملاحظ على ألفاظ التعليل أنّ المرسل يلجأ إليها في خطابه الحجاجي ليبيّن السبب أو العلة من القضيّة الموجّهة إلى المرسل إليه.
- يساهم الشرط بأدواته المختلفة في تقوية سياق الحجة من خلال الربط الدلالي المنطقي بين جملته وجوابها بواسطة الأداة.
- يستعمل المحاجج الوصف في خطابه لغاية إقناعية ترمي إلى توضيح وإيضاح وجهة نظره للمتلقي .
- إنّ الدور الذي اضطلعت به الأفعال الإنجازية في خطابات أولي العزم من الرّسل يهدف إلى الإقناع والتأثير من خلال تحقيق الفعل المنجز.
- يسعى المرسل في خطابه من وراء توظيفه للتبادل إلى حمل المتلقي على الإقتناع والتسليم ، ولاسيما في تطبيق مبدأ المساواة.
- تشكّل الخطاب الحجاجي للرّسل أيضا من العوامل الحجاجية التي لوحظ من خلال التحليل أنّها تساعد في توجيه الحجة مباشرة نحو النتيجة المراد تحديدها وتوجيهها ، والرّوابط الحجاجية التي تبيّن طبيعة العلاقة الرّابطة بين الحجّة والنّتيجة.
- إنّ الرّوابط الحجاجيّة تساهم إمّا في تعارض الحجج من أجل تحقيق نتيجة مضادّة يراد الوصول إليها مثل (لكن) و(بل)، وإمّا في تساوق الحجج وتعاونها لتحقيق نتيجة واحدة كالرّابط (حتّى).
- تقوم العوامل الحجاجيّة بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجيّة مثل: (ما...إلاّ)و (إن...إلاّ)...الخ.

إنّ البنية الحجاجيّة للخطاب القرآني اشتملت على ألوان مختلفة من الججج والأدلة التي تتماشى وطبيعة العقل البشري على مدى أي زمان ومكان ،نظرًا لأنّ الفكر الإنساني متجدّد ، الشيء الذي يثبت أنّ القرآن الكريم قد جاء بأنواع عدّة من الخطابات التي تحاكي الفكر، وقد أراد الله عزّ وجلّ من خلال هذه الخطابات هدي القلوب وإرشاد النّفوس وحملها على التّوحيد والإيمان والعمل بالشرائع ، وإقناع المتلقي بها ودفعه إلى البحث في مجال الخطاب القرآني الذي يشكّل أرض خصبة تحتاج للدّراسة والتّحليل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المعاجم:

1) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط1، (1421هـ/ 2000م)، ج2، مادة : ح ج ج.

2) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنّشر، دط، (1399هـ/ 1979م)، ج2، مادة: حجّ.

3) ابن منظور، لسان العرب ،دط، دت، دار صادر، بيروت، م2، مادّة ح ج ج.

الكتب:

1) أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، دط،2002م.

2) أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ضمن: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2012م.

3) آن ربول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003م.

4) إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب – جامع دروس النحو والصرف -، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، دط، دت.

5) إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط1 ، م1983.

6) بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، مصر ، ط3، (1404هـ/1984م).

7) أبو بكر العزّاوي ، الحجاج والمعنى الحجاجي ، ضمن : التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه) ، تنسيق: حمُّو النّقاري ، كلية الداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، ط1، (1427هـ/2006م).

8) أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطّبع، الأحمدية، ط1، (1426هـ/ 2006م).

9) جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ، دط ،(1426هـ/ 2006م).

10) جلال الدين المحلي والسيوطي ، تفسير الجلالين ، دار الإمام مالك، الجزائر دط،(1438هـ/ 2017م)، سورة النساء، الآية 112.

11) جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط1،2016م.

12) ابن جني ، اللمع في العربية ، تح: سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي ، عمان ، دط،1983م.

13) حسن عباس، النحو الوافي ، دار المعارف للنشر، ط15، دت،ج2.

14) نفسه، ج3.

15) الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة محمّد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1،(1413هـ/ 1992م).

16) الرماني ، معاني الحروف ، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، (1426هـ/ 2005م).

17) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي- بنيته وأساليبه-، عالم الكتب الحديث ،إربد، الأردن ،ط2، 2011م.

18) سليمان فياض ، النحو العصري – دليل مبسّط لقواعد اللغة العربية-، مركز الأهرام ،ط1 ، 1995م.

19) شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،إشراف : حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس.

20) صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب ، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،ط1،2009م.

21) صفي الرّحمان المباركفوري ، الرّحيقالمختوم – بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصّلاة والسلام-، دار إحياء التراث ،دط،دت.

22) الطاهر خليفة القراضي ،الأسس النحوية والإملائية – في اللغة العربية-، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ط1،(1422هـ/ 2002م).

23) طه عبد الرحمان ، في اصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2،2000م.

24) طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان ، (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي، العربي، ، الدار البيضاء، ط1،1998.

25) عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج -، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،

26) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: محمود محمد شاكر ، دط، دت.

27) عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم خلال أهم خصائصه

الأسلوبية ، دار الفارابي، بيروت ، ط2، 2007م.

28) عبد الله صولة ، في نظريات الحجاج ، دراسات وتطبيقات ، دار الجنوب ، تونس ، ط1 ، 2011م.

29) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية - ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ،لبنان ، ط1،2004م.

دط،2006م.

30) عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، تونس ، ط1،2011م.

31) علي محمّد حجي الصرّاف ، في البراغماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي -، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، (1431هـ/ 2010م).

32) عمارة ناصر ، الفلسفة والبلاغة – مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي- منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة ،ط1، (1430هـ/ 2009).

33) فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوارللنشر والتوزيع، سوريا ، ط1، 2007م.

34) أبو القاسم الزجاجي ، حروف المعاني ، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل ، الأردن، ط2، (1406هـ/ 1986م).

35) ابن كثير ،قصص الأنبياء ، تح: مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط3، 2008م.

36) مثنى كاظم الصادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي – تنظير وتطبيق على السور المكية ، منشورات ضفاف ،بيروت ،ط1، (1436هـ/ 2015م).

37) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية ،

دط، 1984م، ج1.

38) محمد علي القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماييز ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمُّود ، دط ،دت.

39) محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط 2ن2012م.

40) محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ،دط،2013م.

41) محمد طروس ، النظرية الحجاجية – من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط1،(1426هـ/2005م).

42) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية في "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي – دار الطليعة ، بيروت، ط2005،1م.

43) ابن يعيش ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية مصر ،دط ،دت،ج8.

44) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم ، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1،(1403هـ/ 1983م).

الرّسائل الجامعية والمجلات:

1) أبو الزهراء ، دروس الحجاج الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة، دط،2008م.

2) سعيد بن محمّد بن عبد الله القرني ، التعليل في القرآن الكريم(دراسة نحوية)، مش: مصطفى إبراهيم علي عبد الله، رسالة مقدّمة لنيل درج في النحو الصرف الدكتوراه، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، السعودية،(1420هـ/1421هـ).

الفهـــرس

فهرس الموضوعات

العنوان: التشكيل الحجاجي للغة في خطابات أولي العزم من الرّسل

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
مقدمة.	أ- ج
مدخل(الجهاز المفاهيمي):	
أولا: تعريف الحجاج:	
أ- لغة.	6
ب- اصطلاحًا.	7
ثانيا: حجاجيّة الخطاب القرآني	10
ثالثا: الخطاب الحجاجي سملته وأنواعه:	10
1. ضوابط الخطاب الحجاجي.	12
2. سمات الخطاب الحجاجي.	13
3. أنواع الخطاب الحجاجي.	15
رابعًا: نظريّة الحجاج اللغوي:	22
1. التداوليّة المدمجة.	23
2. سمات الحجّج اللغويّة .	24
3. أهم مفاهيم نظريّة الحجاج اللغوي.	25
الفصل الأوّل: التشكيل الحجاجي من حيث التعليل والشرط والوصف الإنجازيّة والتّبادل	
تمهيد.	30
أولًا: ألفاظ التّعليل	32
1. تعريف العلّة:	32
أ- لغة.	32
ب- اصطلاحًا.	32
2. التّعليل بالأسماء.	33
3. التعليل بالحروف.	34
ثانيًا: الشرط.	38
ثالثًا: الوصف.	45
رابعًا الأفعال الإنجازيّة.	49
خامسًا: التّبادل.	54
خلاصة الفصل.	56
الفصل الثاني: التشكيل الحجاجي من حيث العوامل الحجاجيّة والرّوابط الحجاجيّة.	
تمهيد	58
أولًا: العوامل الحجاجية:	59

1) عمليّة النّفي	60
2) عمليّة أدوات القصر والاستثناء:	65
أ- عمليّة القصر بـ : إنّما.	66
ب- عمليّة القصر بالنّفي والإستثناء.	71
ثانيًا : الرّوابط الحجاجيّة :	76
1. الرّابط الحجاجي (لكن).	77
2. الرّابط الحجاجي (بل)	82
3. الرّابط الحجاجي(حتّى)	86
خلاصة الفصل.	89
خاتمة.	91
قائمة المصادر والمراجع.	95

الملخّص

يعدُّ الحجاج طريقة في التّواصل غايته الاستمالة والإقناع والتّأثير، يقوم في الأساس على الحجّة.

ويعدُّ القرآن الكريم من أرقى أنواع الخطابات التي تخاطب العقول في أيّ زمان ومكان ، قد لقي اهتمامًا بالغًا من قبل الباحثين والدّارسين وذلك من أجل الكشف عن معانيه ومدلولاته واستنباط أحكامه ، وهذا الخطاب – القرآن الكريم – جاء لتغيير وضع قائم عن طريق تقديم الحجج الباعثة على التّأثير .

لهذا كان البحث في الخطاب القرآني هو الشغل الشاغل في هذا الموضوع الموسوم

بعنوان :**التشكيل الحجاجي للغة في خطابات أولي العزم من الرّسل في القرآن الكريم** ، والذي جاء ليفصّل القول في حجاجيّة القرآن الكريم في جانبه اللغوي ، متّخذًا من خطابات أولي العزم من الرّسل نموذجًا للتّحليل.

إنّ خطابات الرُّسل قد تضمّنت في بنيتها اللغويّة مجموعة من المؤشرات الباعثة على الإقناع مثل: الرّوابط الحجاجيّة والعوامل الحجاجيّة ، بالإضافة إلى بعض الآليات الأخرى مثل: ألفاظ التّعليل ، أدوات الشرط ،وأسلوب الوصف، والأفعال الإنجازيّة، وعلاقة التّبادل.

Al-Hajjaj envisage une méthode de communication dont le but est d'attirer, de persuader et d'influencerLa base de l'argument.

Le Saint Coran est considéré comme l'un des meilleurs types de discours qui s'adressent aux esprits à tout moment Et un lieu qui a suscité un grand intérêt de la part des chercheurs et universitaires afin de découvrir Sur ses significations et implications et en déduisant ses décisions, ce discours - le Saint Coran - est venuChanger une situation existante en présentant des arguments influents.

C'est pourquoi la recherche du discours coranique était la principale préoccupation de ce sujet Intitulé: La formation hajjaji du langage dans les discours des apôtres protestants en Le Saint Coran, qui est venu détailler le dicton sur l'argumentation du Saint Coran dans son aspect Linguistiquement parlant, en utilisant les discours des apôtres résolus comme modèle d'analyse.

Les lettres des apôtres ont inclus dans leur structure linguistique un ensemble d'indicateurs émetteurs Sur la persuasion tels que: liaisons orbitales et facteurs orbitaux, en plus de certains Autres mécanismes tels que: rationalisations, subjonctions, style de description et verbes Réalisation et réciprocité.